مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلمى
« عبد الحليم محمود
« محمد يوسف موسى
« سليمان دنيا
« مصطفى كمال وصفى
الأستاذ حسن عبد الوهاب
« السيد العنانى

الأستاذ حسن كامل الملطاوى
« سعيد حمزه مكرم
« محمود شلبى
« فوزى عرفه
« عبد المنصف محمود
« محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : قصص صوفى
منهج التصوف : أخبار صوفية

العدد الثانى عشر — السنة الثانية

الثمن ٥ قروش

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراكات
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثاني عشر « السنة الثانية » : ٤ ذو القعدة عام ١٣٧٩ هـ الموافق أول مايو ١٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان قوة إيجابية بناءة

لسماحة السيد الأستاذ محمد محمود علوان

على أبواب عصر الفضاء، والاندفاع الكوني في آفاق السماء تقف الإنسانية اليوم راجفة القلب، حائرة البصر، تقلب وجهها في الآفاق المجهولة المسحورة.

لقد أذهلها ما تملك من قوى، وما سخر لها العلم من ذرات وطاقات، وما وضع في يدها الفكر الإنساني من مفاتيح سحرية، يلين لها كل شيء ويخضع.

وترتفع مع هذا العصر الكوني، صيحات تؤله المادة، وتعبد العلم، وتسبح بحمده وتقدس له، ثم تهز

رأسها ساخرة من الأديان . متهكمة بها ، ضاحكة هازئة بالذين لا يزالون يؤمنون بقوى الغيب ، ويقيمون الصلاة ويسبحون بحمد ربهم ، ويذكرونه بالغدو والآصال ، ويتحدثون عن رسالة الروح ، وإحساس الضمير ، ونقاء القلب ، وملهمات الإيمان ، وفضائل النفس ، وآداب الحس ، والمثل العليا ، التى تستهدف الحق والخير والسلام .

والمؤمنون بربهم وأصحاب العقائد السماوية ، يؤمنون بالعلم ، وبالفكر الإنسانى ، وبالتقدم المادى ، والتطور الحضارى .

ولكنهم لا يتخذون من المادة إلاهاً يعبد ، ولا من الفكر الإنسانى صنماً يسجد له ، ولا يصنعون من قوى الحديد ، وطاقات المادة ، سياطاً يجلدون بها الإنسانية ، وأغلالا يسترقون بها الشعوب وسرادقات من نار يحيطون بها الحياة ، ليدمروا كل ما فيها من إيمان وخير وهدى .

إنهم يؤمنون بالعلم الذى ينفع الناس ويزيد من أمنهم ورفاهيتهم ، ويؤمنون بالفكر الإنسانى البناء ، الذى لا تستهويه الشياطين فى الأرض ، فينطلق جامحاً معربداً كافراً .

ويؤمنون بالتطور الحضارى الصاعد إلى الكمال النفسى والخلقى .

إن هذه الأصنام التى تعبد اليوم فى الأرض باسم العلم ، أصنام الذرة والمادة ، لهى أشد جاهلية من أصنام الجاهلية الأولى ، وأشد فتكا ووحشية من كل بربرية همجية ، زحفت على وجه أرضنا للتدمير والتحطيم عبر التاريخ .

إن الذى يعصم الإنسان من وحشية البداوة ، وجاهلية الأصنام الحجرية والعلمية ، هو الإيمان بالله سبحانه ، ومن الإيمان بالله ينبثق الإيمان بالإنسان ، والإيمان بالحق والخير ، والإيمان بالأمجاد والمثاليات التى تميز بها النوع الإنسانى وقامت عليها حضارته ورسالته .

إن الحضارة إذا ألحدت وكفرت انقلبت وثنية ، وارتدت جاهلية ، وانطلقت مدمرة باغية ، مجردة من العاطفة الإيمانية التى هى ميزة الإنسان وجوهره الذى سجد له الملائكة .

لن تسعد الإنسانية بهذا التفوق العلمى ، والتقدم الحضارى ، إلا إذا

آمنت بربها ، واهتدت بأديانها ، واتجهت إلى مثلها .

ولقد كانت سبحة علوية من القائد المكافح المؤمن رئيسنا جمال عبد الناصر ، إذ يقول لمئات الملايين من أبناء الهند الذين يحتفلون به .

إنه لا يسره أن تكون فى يمينه القنابل الذرية والهيدروجينية ، خلا من القوى الروحيـــة والمعنوية والإنسانية التى يستند إليها ويؤمن بها ويدعو إليها ، لخير الإنسانية ، ولخير الأمن والسلام والحرية للعالم كافة

إن الذى يملك عقيدة الخير ، ورسالة السلام ، وقوى الإيمان بالله ، هو الذى يملك وحده ، القوى العليـا المنتصرة فى كل زمان ومكان .

تلك هى حكمة الأجيال ، وآية التاريخ ، ونظره إلى ماضى الإنسانية ترشد إلى أن قوى الشر مهما عظمت وتضخمت ، إنما هى إلى فناء وزوال.

وإن قوى الخير والسلام مهما أحيط بها ودبر لها ، فإنها أبداً إلى بقاء وانتصار ، لأن الله سبحانه لم ولن يتخلى عن خلقه — وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين — إنه سبحانه سيد هذا الوجود وملهمه وقيومه ، وهو وحده الذى يهب النصر ، ونصره دائماً للمؤمنين دعاة الحق وحداة السلام .

ومن هنا كان الإيمان هو أكبر قوة إيجابية بناءة لأنه يستند إلى الله سبحانه ، ويرتبط بالله القوى القادر ويستمد منه وحده العون والنصر .

فلنجعل من إيماننا قوة عليا فى سياستنا ، وفى كفاحنا ، وفى واقع حياتنا .

قوة نستند إليها ، ونعتمد عليها ونستمد منها إرادة الكفاح ، كما نستمد منها عزيمة النصر .

ولنأخذ بأسباب العلم ، وبأسباب القوة ، لنجعل منهما معراجاً إلى الإيمان ، وصراطاً إلى الحق ، وعوناً للواجب المقدس .

ولا تخدعنا تلك الصيحات الملحدة الجاحدة عن رسالتنا ، ولا ترهبنا تلك التهاويل المسحورة المجنونة عن جهادنا ، وعن عقائدنا — لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد .

والله أكبر والعاقبة للتقوى .

٨

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقي سرور

صلة الحلاج بالله :

ونمشي مع الحلاج خطوات فى آفاقه الذوقية ، وفى مواجيده وحبه للذات الإلهية ، وفى تلك المجالات الروحية التى ابتدعها حول صلات العبد الولى المختار ، بمفيض الوجود ومبدعه وملهمه .

وصلة الحلاج بالله سبحانه ، تدور على قطبين : الحب الواله القوى الغلاب المذهل ، والفناء فى هذا الحب فناء شاملا يذوب فيه كل شىء مادى دنيوى ويحترق ليخلد .

ثم مرحلة السير فى هذا الحب ، ومجالات هذا السير الروحية ، بما فيها من الهامات وتجليات ومواجيد وأشواق وحيرة ودهشة وعذاب .

والمحب هنا فى عذاب ملهم ، يعذب فى بحثه عن مولاه ، ويعذب فى حبه له ، ويعذب فى حيرته حيال جبروته وآياته .

والعذاب فى الحب الإلهى أكبر خير يفيضه الله سبحانه على عبده ووليه المحبوب.

وإن لله سبحانه لنظرات واشراقات وزيارات للقلب المحب المعذب المحترق ، زيارات تهب ولها مقدسا ، يعقبه هجران يدفع إلى دهشة محلقة .

ومن كل هذه الانفعالات تنبثق مواجيد المعرفة العليا ، وتسبيحات الولاية العظمى ، وينبثق فوق هذا وذاك فى قلب المحب ، فيض إلهى يعبر عن الإرادة الإلهية ويقتبس من نورها وهداها .

وروح المحب الولى ، هو وحده الذى يظفر بهذا الفيض الإلهى ، لا عن طريق الحلول النحيزى ، بل بوساطة الفيض النورانى الذى يرفع أرواح الأولياء المحبين إلى المراتب القدسية .

وخلال هذا الفيض أو الاتصال ، تحدث الجذبة الروحية التى تصورها لنا تلك المناجاة المشعة المستمرة بين روح المحب ومحبوبه الاسمى الذى تشعر بوجوده فى أعماقها.

وحينئذن تتوالى ضراعات الروح وترتفع إلى مولاها بكل آلامها وآمالها وأشواقها فى لغة فوق لغة الألسن ، وفى تصوير لايمت إلى العلائق الدنيوية بصلة أو نسب.

يقول الحلاج :

« إعلم أن العبد إذا وحد ربه فقد اثبت نفسه ، ومن اثبت نفسه فقد اتى بالشرك الخفى ، وإنما الله تعالى هو الذى وحد نفسه على لسان من يشاء من خلقه » : ـ ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ـ

والذين لايستطيعون متابعة مثل هذا الروح فى عروجه وسلوكه وحبه وعذابه وتجربته ، لايستطيعون أن ينكروا أنها محاولة فى المعرفة الذوقية ، وفى الحب والإيمان اليقينى ، ليست أقل شأنا فى تاريخ العقل الإنسانى من مسلك الفلاسفة ، ومنهج المتكلمين .

يقول الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى : « إذا كان وجود الخالق ووجود المخلوق واحداً ، فلا معنى لقيام حوار العشق بينه وبين الله »

وهذه آية الآيات على نفى الوحدة ، ونفى الحلول فى منهج الحب الإلهى الصوفى والحلاج من أكبر من تغنوا بالحب الإلهى ، ولعله أكبرهم عاطفة ، وأشدهم وجدا وولها .

يقول الحلاج : « إن المسافة بين النفس وبين الله تتوقف فى مقدارها على صفة العشق الإلهى »

ويقول : « إن شهادة الحمد هى شهادة حب ، وإن القلب الذى يعرف الحب لا يموت ابداً »

إن عذاب الحلاج فى حبه، وفى صلته بربه لتقدم لنا أروع نماذج الإيمان الصوفى لقد عاش الحلاج فى وجد وعذاب ، وفى سبحة علوية من إلهامات حبه وشوقه وذوقه .

وإنها لمواجيد حق وصدق ، وإن عجزت عنها فهوم الأكابر .

يقول الحلاج[1] .

مواجيد حق أوجد الحق كلها وإن عجزت عنها فهوم الأكابر
وما الوجد إلا خطرة ثم نظرة تنشى لهيبا بين تلك السرائر
إذا سكن الحق السريرة ضوعفت ثلاثة أحوال لأهل البصائر

والوجد والعذاب فيض ربانى على المصطفين الأحبة ، ولهذا فهو لا يصطنع فى وجده ما يلهبه ويثيره من سماع أو ذكر كما يصطنع غيره .

أنت المولة لى لا الذكر ولهنى حاشا لقلبى أن يعلق به ذكرى
الذكر واسطة تخفيك عن نظرى[2] إذا توشحه من خاطرى فكرى

وكل شىء فى الوجود مادى أو معنوى ، هو حجاب دون رؤية الله سبحانه، يجب الفناء عنها ، كما يجب أن يفنى الإنسان عن نفسه أيضاً .

بدا لك سر طال عنك اكتتامه وقد لاح صبح كنت أنت ظلامه
وأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليك ختامه[3]

إن تجربة الحلاج الصوفية فى المعرفة الإلهية لتجربة فذة عليها طابعه وحده ، لقد شارك الصوفية فى مواجيدهم وأذواقهم ، ثم ابتدع منهجا خاصا به هو سره الأكبر ، لقد جعل من الآلام شيئا مقصودا لذاته .

أريدك لا أريدك للثواب ولكنى أريدك للعقاب

---

(١) ديوان الحلاج مقطوعة رقم ١٩
(٢) ديوان الحلاج مقطوعة رقم ١٨
(٣) ديوان الحلاج مقطوعة رقم ٢

فبكل مآربى قـــد نلت منها سوى ملذوذ وجدى بالعذاب[1]

والحب لذة لايعرفها إلا الصفوة من المحبين

مكانك من قلبى هو القلب كله فليس لخلق فى مكانك موضع

وحطتك روحى بين جلدى واعظمى

فـــكيف ترانى إن فقدتك أصنع[2]

ونحن ندنو رويدا من فلسفة الحلاج العليا فى الحب الإلهى .

وأى أرض تخلو منك حتى تعـــالوا يطلبونك فى السماء

تراهم ينظرون إليك جهرا وهم لايبصرون من العماء[3]

إنه كما يقول المستشرق ـ دى بور ـ يحاول أن يتذوق بروحه مايحاول المتكلمون والفلاسفة أن يصلوا إليه بالنظر العقلى . وإنه للحب العالى . الحب الذى تعجز الكلمات عن تصويره أو كما يقول « سمنون » لايعبر عن شىء إلا بما هو أرق منه ولاشىء أرق من المحبة فيما يعبر عنها .

يقول الحلاج :

لى حبيب ازور فى الخلوات حاضر غائب عن اللحظات

ماترانى أصغى إليه يسمع كى أعى مايقول من كلمات

كلمات من غير شكل ولانط ق ولا مثل نغمة الأصوات

فكأنى مخاطب كنت إيا ه على خاطرى بذاتى لذاتى

حاضر غائب قريب بعيد وهو لم تحوه رسوم الصفات

هو ادنى من الضمير إلى الوهـ ـم وأخفى من لائح الخطرات[4]

ومن الكلم المضىء الذى يكشف عن منهج الحلاج وايمانه الذوقى ، تلك الدراسة التحليلية الرائعة التى أدارها الحلاج حول كيفية معرفة الإنسان لربه وخالقه قال فى الطواسين[5] وهى من أدق واعمق ماانفرجت عنه الاقلام .

---

(١) ديوان الحلاج مقطوعة رقم ٧

(٢) ديوان الحلاج مقطوعة رقم ٣

(٣) ديوان الحلاج مقطوعة رقم ١

(٤) ديوان الحلاج مقطوعة رقم ١١

(٥) الطواسين ص ٧١ — ٧٢ — ٧٣

« ... من قال عرفته بفقدى ، فالمفقود كيف يعرف الموجود ، ومن قال عرفته بوجودى ، فقد يمان لايكونان .

ومن قال عرفته حين جهلته ، فالجهل حجاب ، والمعرفة وراء الحجاب لاحقيقة لها .

ومن قال عرفته بالاسم ، فالاسم لايفارق المسمى ، لأنه ليس بمخلوق .

ومن قال عرفته به فقد اشار إلى معروفين ؟ ومن قال عرفته بصفته ، فقد اكتفى بالصنع دون الصانع ، ومن قال عرفته بالعجز عن معرفته ، فالعاجز منقطع ، والمنقطع كيف يدرك المعروف .

ومن قال كما عرفنى عرفته ، فقد اشار إلى العلم فرجع إلى المعلوم ، والمعلوم يفارق الذات ، ومن فارق الذات كيف يدرك الذات .

ومن قال عرفته كما وصف نفسه ، فقد قنع بالخبر دون الاثر

ومن قال عرفته على حدين ، فالمعروف شيء واحد لايتحيز ولا يتبعض ؟

ومن قال : المعروف عرف نفسه فقد أقر بان العارف فى البين متكلف به ، لأن المعروف لم يزل كان عارفا بنفسه ياعجبا ممن لايعرف شعرة من بدنه ، كيف تنبت سوداء ، أم بيضاء ، كيف يعرف مكون الاشياء .

من لايعرف المجمل والمفصل ، ولايعرف الآخر والأول ، والتصاريف والعلل ، والحقائق والحيل ، لاتصح له معرفة من يزل .

سبحان من حجبهم بالاسم والرسم والوسم ، حجبهم بالقال والحال والكمال والجلال ، عن الذى لم يزل ولايزال . القلب مضغة جوفانية ، فالمعرفة لاتستقر فيها ، لأنها ربانية . من قال عرفته على الحقيقة ، فقد جعل وجوده أعظم من وجود المعروف ، لأن من عرف شيئا على الحقيقة فقد صار أقوى من معروفه حين عرفه .

ويقول الحلاج عن الخواص العارفين :

« فالخواص عباده لذين محاهم عن شواهدهم ، وصانهم عن أسباب الفرقة ، باستهلاكهم فى شهوده ، واستغراقهم فى وجوده ، فاى سبيل للشيطان اليهم ، وأى يد للعدو عليهم ، ومن اشهده الحق حقائق التوحيد ، ورأى العالم مغترقا فى ثقة التقدير ، لم يكن نهبا للاغيار ، فمتى يكون للغير عليه تسلط »

البحث مستمر

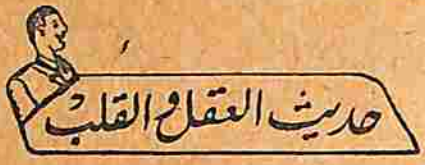

حديث العقل والقلب

تذوق وتحقق

بقلم
الدكتور: محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة

جلس الشيخ المرشد بين يدى مكتبه ، مغرقاً فى مطالعة كتبه . ممعناً فيما هو بسبيله من أفكار ملكت عليه عقله ، وأسرار امتلأ بها قلبه . وبينا هو كذلك إذ أقبل عليه مريده المسترشد ، فسلم عليه ، وجلس بين يديه ، ولم يكد يستقر به المجلس حتى ابتدره الشيخ بقوله :

لعلك تحس معى أن الأمد قد طال على حديث العقل ، وأن الصلة بيننا وبين هذا الحديث قد انقطعت منذ طلع علينا هلال رمضان بإشراقاته الروحانية وأفاض على قلوبنا من نفحاته النورانية ، فإذا نحن ننصرف عن حديث العقل إلى أحاديث أخرى لعلها كانت ألذ وأمتع ، وأجل وأروع ، ذلك بأنها أحاديث القلوب إلى القلوب طوال شهر تصفو فيه القلوب ، فإذا هى أقرب ما تكون إلى علام الغيوب ، وأبعد ما تكون عن عالم حمى أو عقلى أفسدته الخطوب والكروب ، وإذا حياتنا فى ذلك الشهر المعظم حياة روحية خالصة وجدنا فيها رددنا خلالها من تسبيحات ، وما تلقينا فى أيامها ولياليها من نفحات ، جلاء البصائر ، وصفاء الضمائر ، ونقاء السرائر ، فلم يكن بد من أن نخلو إلى قلوبنا ، وأن نخلى بين قلوبنا وبين هذه الحياة الروحية الخالصة التى ليس من شك فى أنا واجدون فيها نجوى النفوس الزكية ، وسلوى الضمائر الصفية ، وقوت القلوب النقية .

وها نحن أولاء يا بنى قد تزودنا من شهر الهدى والفرقان بخير الزاد ،

وعرفنا فيه كثيراً مما ينفع فى المعاش والمعاد ، واتخذنا منه معيناً نستعين به ومعيناً ننهل منه ، فلا بأس علينا إذا عدنا اليوم إلى حديث العقل الذى لعلك تذكر أننا وقفنا فيه عند إظهار الصلة بين النفس والعقل ، والإبانة عن منزلة العقل من النفس ، واتفقنا على أن نلتقى فى حديثنا المقبل على تعرف ماهية العقل وحقيقته ، حتى يتبين لك وجه الحق فى هذه الحقيقة ، ويتبين لك معه كيف تستطيع أن تحقق ما أردتك على تحقيقه حين قلت لك : « كن عقلا واعياً ... »

على هذا النحو وجه الشيخ المرشد حديثه إلى مريده المسترشد ، وكان هذا المريد من الصمت والسكون والإنصات إلى شيخه وهو يتحدث إليه بحيث لم يتحرك حركة ، ولم يلفظ لفظة ، بل كان مأخوذاً كأن على رأسه الطير ، مستغرقاً مع أستاذه فى حديث التسبيحات والنفحات كأنه قد أصاب فى هذا الحديث عزاء نفسه وغذاء قلبه ووجد عنده راحة روحه وملاذ ضميره ، فإذا هو يسكن إليه ، ويأنس له ، ويطمئن به . ولم يكد يفرغ شيخه من خطابه إليه على هذا الوجه الذى ملك عليه كل قلبه حتى جعل يتمتم فيما بين شفتيه بكلمات كانت فى أول الأمر خافتة خافية لا تكاد تبين فى ذاتها ، ولا تكاد تبين عن شىء مما يدور فى نفس صاحبها ، ولكنها ما لبثت أن بانت شيئاً فشيئاً ، وأن اتضحت رويداً رويداً ، وذلك عند ما أخذ المريد يرفع صوته قليلا قليلا ثم أخذ يقول :

لست أدرى يا سيدى على أى وجه أتحدث إليك ، ولا بأى من الألفاظ والعبارات أحمد لك . ومهما يكن من شىء فلقد والله حدثتنى حديث القلب إلى القلب عن القلب ، وأثرت فى نفسى ذكريات تلك الأيام التى طويناها صائمين صابرين ، وتلك الليالى التى أحييناها قائمين شاكرين ، فإذا أنت تطوينى فى نفحات ، وتحيينى فى تسبيحات ، وتردنى إلى أصفى الموارد وأحلاها ، وأشفى المناهل وأشهاها ، وإذا أنا أتمثل بين يديك الآن حياتى الروحية تلك التى كنت أحياها فى رمضان مع ربى ، ومن أجل ربى ، ولا أبتغى بها غير وجه ربى ، فهو وحده الذى امتلأ به قلبى ، ووقفت عليه وحده حبى ، ولم أكن فى ذلك مسرفاً أو متطرفاً ، ولا مبغضاً للحياة الدنيا ، ولا منصرفاً عما ينبغى

على من حفظ الحقوق وأداء الواجبات نحو الخلق بقدر أداء هذه الواجبات وحفظ تلك الحقوق نحو الحق ، ذلك بأنى إنما أحببت الله وأحببت كل شيء فيه وبه : أحببت الحق وتحققته لأنى أحب الله الذى هو الحق الأعلى ، وأحببت الخير وحققته لأن الله هو الخير الأسمى ، وأحببت الجمال وتذوقته لأن الله هو الجمال الأسنى . فإذا قلت إن الله وحده هو الذى امتلأ به قلبى ، وإنه هو وحده الذى وقفت عليه حبى فإنما أعنى أن من يحب الله فقد أحب كل شيء فى ثنايا حبه لله .

وهكذا ترى يا سيدى إلى أين نقلنى حديثك العذب ، وعلى أى وجه أثار فى قلبى مكنون الضنى ومكتوم الشجن ، كما ترى أنه ليس أشهى للقلب من حديث القلب ، ولا أدعى لبهجته وسعادته وراحته من نفحات الحب . وإذا كان ذلك كذلك فإذا علينا إذن لو أقبلنا اليوم بكل ما فينا من قلب على حديث القلب فاسترسلنا فيه ، وأعرضنا عن حديث العقل فأمسكنا عنه

وهنا ابتسم الشيخ المرشد ابتسامة عبر بها تعبيراً مزدوجاً عما كان لكلام مريده من أثر فى نفسه : فهى ابتسامة تعبر عن الرضى والإعجاب من ناحية ، وعن اللوم والعتاب من ناحية أخرى ويتبين هذان المعنيان فيما وجهه الشيخ إلى مريده من قوله له :

لقد أخذك يا بنى ما فى حديث القلب من روعة ، وماله فى القلب من سحر ومتعة ، وأردت أن تطلق قلبك على سجيته مع هذا الحديث الرائع الساحر الممتع ، وأنا لا ألومك على هذا ولا أعتب عليك فيه ، بل أوافقك على كل ما أظهرته من ذات قلبك ، وما كشفت به عن حقيقة حبك . ولكن ألا ترى معى أننا يوم اتفقنا على أن ندير هذا الحديث بيننا قد اتفقنا أيضاً على أن يكون موضوعه العقل والقلب معاً ، لا العقل وحده ، ولا القلب وحده ؟ ثم ألا ترى معى أيضاً أننا قد جعلنا من أجل هذا عنوان حديثنا : « حديث العقل والقلب » ، وأنه من هذه الناحية يجب ألا نسرف فى أحد الطرفين على حساب الآخر ، وألا نتحيف من حق أحدهما إشباعا أو تشبيعاً لحق الآخر؟ ثم ألا ترى بعد هذا كله أنى يوم توليت أمرك وتدبيرك قد قلت لك : « كن عقلا واعياً ، وكن قلباً صافياً ، وكن ضميراً صاحياً » ، ثم قل بعد ذلك ما شئت لمن شئت ، وافعل ما شئت

مع من شئت ، فلن يكون قولك الا صدقاً ، ولن يكون فعلك الا حقاً ، فأنت ترى يا بنى أنى لم أرد أن أجعل منك قلباً فحسب ، وانما أردت ولا زلت أريد وأريدك على أن تكون عقلا وقلباً وضميراً . فاذا كنت عند هذا كله . وتحققت فى حياتك النظرية والعملية والروحية بهذا كله ، واستطعت أن تلائم فى أقوالك وأحوالك وأفعالك بين هذا كله ، كنت من غير شك من السائرين على الصراط المستقيم ، ومن الظافرين بالفوز العظيم . وهذا يعنى يا بنى أن سبيلك الى المعرفة اليقينية والسعادة الحقيقية ، انما هو التحقق بكمال العلم وكمال العمل ، وأن سبيل التحقق بهذين الكمالين انما يتهيأ لمن يخضع حياته الحسية والنفسية لرياضة روحية يأخذ جوارحه فيها بالتصفية ، وجوانحه بالتنقية ، بحيث يضفى على هذه الجوانح وتلك الجوارح أنواراً من عقله وقلبه وضميره ، وبحيث تجتمع هذه القوى والملكات على وجه تأتلف فيه وتتحد معه ، فلا يفترق بعضها من بعض ، ولا يتخلف بعضها عن بعض ، ولا يظهر بعضها على بعض ، لأنها جميعاً قد خضعت لرياضة روحية واحدة ، وجعلت لها غاية روحية واحدة ، وأصبحت حياة صاحبها على هذا الوجه حياة روحية واحدة أخص خصائصها الجمع الذى ينفى التفرقة ، والوحدة التى تنفى الكثرة : فالحس والنفس والروح والعقل والقلب والضمير ، كل أولئك انما يتحد فيك ، ويأتلف لديك ، وذلك عند ما تكون قد وصلت من رياضة نفسك ، ومجاهدة حسك ، الى الحد من سلطان القوى والملكات الدنيا ، والبسط فى سلطان القوى والملكات العليا ، وهنا لا يصبح لك خبر من حسك أو نفسك ، بل ولا يصبح لك خبر من عقلك وقلبك ، تحس وتشعر ، وتروى وتفكر ، وتقدر وتدبر ، وتقبل وتدبر ، الى غير ذلك مما تفعله أو تنفعل به ، ولكنك لا تكاد تدرى بأى من قواك وملكاتك ، ولا بأى من جوارحك وجوانحك تفعل هذا الذى تفعل ، وتنفعل بهذا الذى به تنفعل ، ذلك بأنك قد أصبحت بعد الرياضة والمجاهدة غير ما كنته قبلها ، وانتهيت من هذه الرياضة والمجاهدة الى هذه الحال التى تعرف عند الصوفية باسم الحال الموحدة ، وهى حال فيها شعور ذوقى

روحى واحد تعانقت فيه الأضداد ، والتقت عنده قوى حياتنا الروحية كلها بعد أن صفت وسمت ، فإذا نحن لا نصدر إلا عنه ، ولا نشعر إلا به ،

على أن المريد ، وقد أخذه كلام شيخه مرة أخرى ولكن أخذه هذه المرة بعمقه ودقته ، بقدر ما أخذه منذ حين بسحره ورقته ، لم يخف على أستاذه ما أحس فى بعض هذا الكلام من غموض وإبهام ، وما عسى أن يكون فيه من عسر وإغراب قد يحلانه عن بعض الأفهام ، فإذا هو يسائل أستاذه فيقول :

ألا ترى يا سيدى أن وحدة الحياة الروحية على هذا الوجه الذى وصفت ، ليست من الوضوح والجلاء بحيث يفهمها كل إنسان ؟ وألا ترى أيضاً أنك لو ضربت لى ولو مثلا واحداً على تذوق وتحقق وحدة الحياة الروحية على الوجه الذى عرضت لكان ذلك أقوم قيلا وأهدى سبيلا ؟

وهنا أجاب الشيخ مريده فى حزم فقال :

ومن قال لك يا بنى أن هذا كلام يقال لكل الناس ، وأن وحدة الحياة الروحية فى الإنسان أمر يستطيع أن يتذوقه ويحققه كل إنسان ؟ ومن قال لك أيضاً أنى سأقف بك عند هذا الحد من الكلام ، ثم أتركك فى بحر من الغموض والإبهام ، تتقاذفك أمواج الشكوك والأوهام ، دون أن أضرب لك الأمثال ؟

ولعلنى حين أضرب لك الأمثال فلن أخرج عن ذات نفسك كثيراً أو قليلا ، فمن عجب أنك تزعم أن فى كلامى غموضاً وإبهاماً ، وأنت مع ذلك أكثر ما تكون استعداداً لتذوق معنى الوحدة الروحية للحياة الإنسانية وتحققها : فلعلك تذكر أو لا تذكر لست أدرى ، وأكبر الظن أنك ستذكر أنك قلت منذ هنيهة إنك أحببت الحق وتحققته لأنك تحب الله الذى هو الحق الأعلى ، وإنك أحببت الخير وحققته لأنك تحب الله الذى هو الخير الأسمى ، وإنك أحببت الجمال وتذوقته لأنك تحب الله الذى هو الجمال الأسنى ، إلى آخر ما قلته فى هذا المعنى الذى إذا كان يثبت شيئاً فى نفسك ، فإنما يثبت قدرتك على النظر إلى الحقائق العليا ، وإلى أعلى هذه الحقائق بصفة خاصة ، بعين الوحدة .

وحسبى أن أضيف إلى ما قلت أنت فى هذا المعنى كلاما لعله أن يزيل من نفسك ماحسبته غمرضا أو إبهاما، فأقول لك :

أحبب الحق والخير والجمال مطلقا فى ذات الله ، ومعينا متجليا فى آيات صنع الله ، وأعرف حقائق هذا كله ودقائقه ورقائقه معرفة حقيقية يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها . ولكى تكون معرفتك كذلك ، وتكون محبتك بمنجاة من المزالق والمهالك ، فأحبب واعرف لا ببعضك ولكن بكلك ، لا بقلبك وحده ولا بعقلك وحده ، ولكن بقلبك وعقلك ، ولا بحسك وحده ، أو بنفسك وحدها ، ولكن بحسك ونفسك . وبعبارة أخرى لعلها أدل على ما أريد وأجمع له ، وأقرب إلى المعنى الذى أشرت إليه وعبرت عنه ، أقول لك : أحبب الله بكل ما فيك من قلب ، وأعرف الله بكل ما فيك من عقل ، وأتق الله بكل ما فيك من ضمير ، وأحس آيات صنع الله فى كل ما أبدع من مجالى ذاته العلية ، بكل مالك من حس ونفس ، وليكن كلك حسا ونفسا وقلبا وعقلا وضميرا ، وليكن لك من وراء هذا كله روح صافية نقية ، تستطيع أن ترقى بك عن حضيض المظاهر السفلية إلى أفق المبادىء العلوية .

فإذا أردت يا بنى بعد هذا الذى قدمت إليك أن تتذوق المعانى الروحية السامية ، وأن تتحقق بمعرفة المبادىء الإلهية العالية ، فحسبك أن يكون مثلك فى هذا التحقق وذلك التذوق كمثل سلطان العاشقين شرف الدين عمر بن الفارض ، الذى لم تكن حياته الروحية ومحبته الإلهية إلا تعبيرا صادقا عنه ، وتصويرا مشرقا له . وحسبك أيضاً أن تقرأ من تائيته الكبرى أبياته التى تعد بحق مرآة صافية صادقة تتجلى على صفحتها أذواق صاحبها بكل ما تنطوى عليه من معانى الوحدة الروحية ، واتحاد القوى والملكات النفسية . وها هو ذا ابن الفارض يعبر عن هذه المعانى متحدثا بلسان الحال التى انتهى إليها ، وأصبح يدرك محبوبته الحقيقية عليها ، فإذا هو يشدو فيقول :

إذا لاح معنى الحسن فى أى صورة
وناح معنى الحزن فى أى سورة ٤١٠
يشاهدها فكرى بطرف تخيلى
ويسمعها ذكرى بسمع فطنتى
ويحضرها للنفس وهمى تصورا
فيحسبها فى الحس فهمى نديمتى
فأعجب من سكرى بغير مدامة
وأطرب فى سرى ومنى طربتى
فيرقص قلبى وارتعاش مفاصلى
يصفق كالشادى وروحى قينتى ٤١٤

إلى أن يقول :

فلفظ وكلى بى لسان محدث
ولحظ وكلى فى عين لعبرتى ٥٤٦
وسمع وكلى بالندى أسمع الندا
وكلى فى رد الردى يد قوة
معانى صفات ماورا اللبس أثبتت
وأسماء ذات ماروى الحس بثت ٥٤٨

وإن ابن الفارض ليمعن فى تذوقه وحدة حياته الروحية ، ويفتن فى تحققه بأرقى وأسمى أحوال المحبة الإلهية، حيث يتصل بمحبوبته الحقيقية، ويشهد ذاتها العلية ، ثم يريد أن يعبر عن هذا كله فى ألفاظ وعبارات ، تبدو فى ظاهرها كذلك ولكنها فى حقيقتها دقائق وإشارات ، فإذا هو يشدد مرة أخرى فيقول :

وكلى لسان ناظر مسمع يد
لنطق وإدراك وسمع وبطشة ٥٧٩
فعينى ناجت واللسان مشاهد
وينطق منى السمع واليد أصغت
وسمعى عين تجتلى كل ما بدا
وعينى سمع إن شدا القوم تنصت
ومنى عن إيد لسانى يد كما
يدى لى لسان فى خطابى وخطبتى
كذاك يدى عين ترى كل ما بدا
وعينى يد مبسوطة عند بسطتى
وسمعى لسان فى مخاطبتى كذا
لسانى فى إصغائه سمع منصت
وللشم أحكام اطراد القياس فى
اتحاد صفاتى أو بعكس القضية
وما فى عضو خص من دون غيره
بتعيين وصف مثل عين البصيرة
ومنى على أفرادها كل ذرة
جوامع أفعال الجوارح أحصت
يناجى ويصغى عن شهود مصرف
بجموعه فى الحال عن يد قدرة ٥٨٨

قرأ الشيخ المرشد هذه الأبيات فى صوته العذب الصافى ، ولم يكد يفرغ من قراءتها حتى قال له المريد المسترشد :

ما أروع وأمتع هذه الأبيات ، وما أدق وأرق هذه الإشارات ، لكم قرأتها ووقفت عندها قبل اليوم ، ولكنى ما فطنت إلى ما تنطوى عليه من معانى الوحدة الروحية إلا الآن ، ومع ذلك فأنا مازلت أحس يا سيدى أنها ما زالت فى حاجة إلى كشف عنها وتجلية لها ، فهلا وقفنا عندها وقفة تكشف عن معانيها ، وتجلى أغراضها ومراميها ؟

قال الشيخ المرشد :

لك ماتريد من هذه الوقفة ، ولكن بعد أن نعود فى حديثنا المقبل إلى ما كنا بسبيله من الإبانة عن العقل وحقيقته ، فبقد أبعدنا ، وشغلنا حديث الذوق ورقته عن حديث العقل ودقته .

محمد مصطفى حلمى

كلمات صوفية

للإمام الجنيد

- التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى .
- عزيز النفس من لزم القناعة ، ولم يكشف لمخلوق قناعه .
- ما رأيت أحداً أعظم الدنيا فقرت عيناه بها .
- مبنى التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم السلام ، السخاء وهو لإبراهيم ، والرضا وهو لإسحاق ، والصبر وهو لأيوب ، والإشارة وهى لزكريا ، والغربة وهى ليحيى ، ولبس الصوف وهو لموسى ، والسياحة وهى لعيسى ، والشجاعة وهى لمحمد صلى الله عليه وسلم.

أثر السنة فى التشريع الاسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى

المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف

(٢)

نعتقد أنه قد بان لنا فى وضوح لا لبس فيه أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم هى الأصل الثانى المقدس من أصول الشريعة الإسلامية ، وأنها لا بد منها مع القرآن ، وأن ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير حجة فى أمور الدين يلزمنا الأخذ بها واتباعها .

ولكن مع هذا كله ، وجد فى قديم الزمن وحديثه أفراد وجماعات إذا سمعوك تذكر شيئاً من سنة الرسول لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون عنك وهم مستكبرون ، ورأيتهم يعجبون منك حين نريد أن نلزمهم بما ترويه عن الرسول منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، على حين أن الواحد منهم يطأطىء الرأس إيثاراً لبعض ما صدر عن سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس من فلاسفة اليونان ، الذين عاشوا قبل المسيح عليه السلام بقرون .

نعم !! إن ذلك لم يمنع فى قديم الزمن وحديثه من ظهور جماعة لا يبالى بها الله ولا المسلمون ولا أحد من أولى الألباب ، تذهب إلى عدم حجية السنة فى الأحكام الشرعية ، فيقولون حسبنا القرآن ، وقد نزل بلسان عربى مبين يفهمه الناس كافة ، وهذه قولة حق يراد بها باطل !! كما تقول : إن القرآن قد اشتمل على كل ما يحتاج إليه المسلمون من تشريعات وأحكام ، فالله يقول فى سورة الأنعام (٦ / ٣٨) : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، فما الحاجة إلى السنة معه ، وقد دخل فيها ما نعرف من خطأ وغلط ونسيان ووضع وكذب !!

كل ذلك قد حكاه الإمام الشافعى فى كتابه « جماع العلم » عن هذه الفئة الضالة ، ثم بيّن وجه الحاجة إلى السنة بجانب القرآن ، لتكون بيانا لما جاء فيه من مجمل لا بد له من تفصيل ، ومطلق لا بدّ له من تقييد ، وعامّ لا بد له من تخصيص ، وهكذا إلى سائر وجوه بيان السنة من القرآن (١) !!

وفى هذا الزمن الذى نعيش فيه نرى بعض الناس يعتنقون ذلك الرأى ، وهم لا يعلمون أنه رأى طائفة قديمة ضلت سواء السبيل فهم يطعنون فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما دام منها الصحيح والموضوع والقوى والضعيف ، ولأنه لا سبيل فى رأيهم لمعرفة ما يجب اعتماده من تلك الأحاديث ، متناسين — غفر الله لهم — جهود علماء الحديث فى هذه السبيل ، هذه الجهود التى لا يعرف تاريخ الأديان لها نظيرا فى سبيل نقد ما نُسب إلى الرسول من أحاديث وتمييز الصحيح منها من الموضوع .

وهم ينتهون إلى ما انتهى إليه أسلافهم المعاصرون للإمام الشافعى ، أى إلى ضرورة الاكتفاء بالقرآن ، وكأن الله يبعث رسله المصطفين من خلقه لحمل كلامه وكتبه دون بيانها !!

وفى هؤلاء وأمثالهم يقول الأمين عليه الصلاة والسلام : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ، يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدرى !! ما وجدناه فى الكتاب اتبعناه ! ! » وفيهم أيضا يقول أبو أيوب السختيانى :

« إذا حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا وأجبنا عن القرآن فاعلم أنه ضال » .

ومن الإنصاف أن نذكر أن هؤلاء القوم قد يستدلون لما يذهبون إليه بأن الرسول نفسه لم يأمر بكتابة أحاديثه ، كما كان ذلك بالنسبة إلى القرآن ؛ وبأنه قال — كما جاء فى صحيح الإمام مسلم — « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب غير القرآن فليمحه » ، وبأنه قال — حسبما روى البخارى — حين اشتد به مرض الموت : « إيتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده » ، فقال عمر : إن النبى غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله يكفينا .

---

(١) فقه الكتاب والسنة ، البيوع والمعاملات المالية المعاصرة ، الطبعة الثانية ، نشر دار الكتاب العربى بالقاهرة عام ١٩٥٤ ص ١٣ ، عن ج ٧ : ٣٥٠ وما بعده ، من كتاب الأم للشافعى .

إنهم قد يستدلون بهذا ونحوه ، ولكن من الحق أن نقول . إن شبئا من ذلك لا ينهض دليلا أو شبه دليل لما يزعمون من عدم حجّية السنة فى التشريع ؛ فإن عدم الأمر بتدوينها مثل القرآن ، لا يدل إلا على أن القرآن يجب أن يكون هو المرجع الأول ، ومحل عناية المسلمين ، فضلا عن أن العرب أمة كان اعتمادها على الحفظ فى الصدور ، لا على الكتابة فى الأوراق

أما الحديث الآخر — الذى جاء فيه ذكر عمر — فالأمر فيه يسير ، وذلك لما أدركه ابن الخطاب رضى الله عنه من أن حالة المرض الشديد قد تكون مظنة السهو وما يتصل به ، والتشريع يجب الاحتياط كلّ الاحتياط فيه . — هذا — فضلا عن أن الخليفة الثانى رضى الله عنه كان يخشى إن كتبت السنة والأحاديث أن يتشاغل الناس بها عن القرآن ، وحينئذ يدخل الخلل والفساد على الإسلام وشريعته من أوسع الأبواب . ولذلك يروى الإمام الحافظ عبد الرازق بن همّام الصنعانى المتوفى عام (٢١١) هـ فى «مصنفه» أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن ، وأشار عليه الصحابة بذلك حين استفتاهم ، ولكنه ظل يستخير الله شهراً ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : « إنى كنت أريد أن أكتب السنن ، وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشىء أبداً » .

وهذا أبو سعيد الخُدْرِىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستأذنه البعض فى أن يكتب عنه ما يحدث به عن الرسول عليه الصلاة والسلام فيأبى عليه هذا ويقول : « أتريدون أن تجعلوها مصاحف ؟! إن نبيكم كان يحدثنا فنحفظ ، فاحفظوا كما كنا نحفظ » وفى رواية أخرى أنه قال : « أردتم أن تجعلوه قرآنا ؟! لا ، ولا ، ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ليست المسألة إذاً مسئلة تردّد أو شبه تردّد فى الأخذ بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم واعتبارها حجة ومصدراً للتشريع بجانب القرآن ، ولكنها مسئلة الخوف من كتابتها فى فجر الإسلام مخافة الاشتغال بها عن القرآن .

ومن ثم كان ما تعرف من اتجاه سيدنا أبى بكر ، وغيره من الخلفاء من بعده ، إلى السنة يلتمس منها حكم

ما يعرض من حوادث ومسائل إن لم يجد تلك الأحكام فى كتاب الله العظيم . ومن ثم أيضاً إجماع الفقهاء أصحاب المذاهب الخالدة على أن السنة هى الأصل الثانى للفقه والتشريع الإسلامى .

على أنه بعد أن مضى العصر الأول من عصور الإسلام ، جدّت بطبيعة الأحوال عوامل جعلت كتابة السنة وتدوينها فى كتب ومجاميع جامعة أمراً لابد منه ، ونشير من هذه العوامل إلى هذين العاملين :

(١) انتشار الكتابة بين العرب ، والاعتماد عليها فى حفظ المعارف والعلوم المختلفة ، ومن شأن هذا أن يُضعف قوة الحفظ والذكر فى الإنسان وبذلك لم يبق العرب كما كانوا من قبل أمة تتميز من بين الأمم جميعاً بملكة الحفظ القوية ، ومن ثم احتاجوا للتدوين وكتابة العلوم .

(٢) والعامل الثانى : ظهور الخطأ غير المتعمّد فى كثير من أحاديث الرسول وسنته بسبب الاعتماد من الراوى على حفظه فقط ، ثم ظهور الكذب على الرسول وشيوعه عن عمد أحيانا من كثير ممن دخلوا فى الإسلام مكرهين ، دون أن يخالط قلوبهم وتتشرّبه نفوسهم.

وكان من هذين العاملين وغيرهما من العوامل الأخرى أن أحسّ المسلمون إحساساً شديداً بالحاجة إلى جمع السنن وتدوينها ، وتم هذا العمل الجليل — بعد غربلة ما روى عن الرسول ونخله بإمعان وصبر شديدين — بفضل جماعة من أئمة الحديث رضوان الله عليهم. وكان فى طليعة هؤلاء الإمامان الجليلان العظيمان شيخا السنة وإماما المحدّثين ورجال الحديث : أبو عبدالله البخارى المتوفى (٢٥٦) هـ والإمام مسلم ابن الحجاج النيسابورى المتوفى عام (٢٦١) هـ .

على أنه كان قبل هذا تدوين وكان بعضه فى زمن الرسول نفسه ، إلا أن ذلك لم يكن عاما ، كما كان التدوين فى صحف وأوراق غير مُرتّبة ولا مجموعة كتبا ومجاميع ، كما حصل من بعد بفضل الله تعالى .

والآن — يجب أن نتساءل : هل كان لتدوين السنة على هذا النحو وذاك أثر على الفقه وعلى آراء الفقهاء فى المسائل والحوادث التى كانوا يبحثون عن حلول وأحكام تشريعية لها ؟ وإذا كان له أثر ، فما هو هذا الأثر وما صداه ؟ ثم — هل حدث أن اجتهد فقيه من الفقهاء فى مسئلة من المسائل برأيه عن اجتهاد ، ثم رجع عن هذا

الرأى بعد أن عرف حديثا عن الرسول فى المسئلة موضوع البحث ؟

إننا نرى أنه كان لذلك الصنيع الجليل نعنى تدوين السنة النبوية وجمعها فى كتب ودواوين ومجاميع لا يزال الكثير منها بين أيدينا بحمد الله تعالى ـ أثر كبير فى آراء الفقهاء ، وحياة الفقه نفسه ، وأن ذلك كان من ناحيتين :

١ — الأولى : أن رجال الحديث قدموا بأعمالهم تلك مادة غنية وخصبة للفقهاء ، سواء كان هؤلاء الفقهاء من أهل الحديث أو من أهل الرأى . وإنه كثير ما كان يحدث أن يتوقف أحدهم عن الافتاء أو القضاء فى بعض المسائل التى لا يجد فيها نصا من الكتاب أو السنة ، وذلك تذمما من أن يقول فى دين الله وشريعته برأيه ، حتى إذا عرف أن فيها حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى به وقد حدث هذا من كبار الصحابة أنفسهم ، فكيف بغيرهم من صغار الصحابة ومن التابعين وأتباع التابعين !! والمثل فى هذا جد كثيرة : فقد قضى سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه للجدة بالسدس فى تركة حفيدها ، بعد أن شهد المغيرة ابن شعبة ، ومحمد بن مسلمة بأن الرسول قضى بذلك ، وقد كان سيدنا أبو بكر قال أولا لها : ما أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا .

٢ — ومن الناحية الأخرى ، نرى أن المسلمين جميعا يرون أن الأصل الثانى لشريعة الله بعد كتابه هو سنة رسوله الذى لا ينطق عن الهوى ، فكان الفقيه لا يصير إلى القول بالرأى والإفتاء به إلا إذا لم تثبت لديه سنة نبوية فى المسئلة التى اجتهد فيها برأيه وحينئذ إن عرف بعد ، فيما قضى أو كاد يقضى فيه باجتهاده ، سنة صحيحة عن الرسول ، كان يرجع عن رأيه ويقضى بها .

وقد حدث هذا أيضاً من الصحابة أنفسهم ، ثم من التابعين ومن جاء بعدهم . فهذا الامام الشافعى يروى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : الدية للعاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا . حتى أخبره الضحاك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابى من ديته ، فما كان من عمر رضى الله عنه إلا أن رجع عن رأيه وأخذ بما جاء عن الرسول .

وحدث أيضاً أن عرضت على عمر قضية امرأة حامل تعدى عليها شخص فألقت جنينها ميتا ، فلم يدر ما يحكم به ، وهنا يروى الشافعى عن طاوس أن عمر قال : أذكر الله امرأ سمع من النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنين شيئا ، فقام حمل بن مالك بن النابغة فقال . كنت بين جارتيين لى - يعنى ضرتين - فضربت إحداهما الأخرى بمسطح فألقت جنينا ميتا ، فقضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة ، والغرة : عبد أو أمة ، فقال عمر : لو لم نسمع هذا لقضينا فيه برأينا ، وفى رواية أخرى أنه قال : إن كدنا أن نقضى فى هذا برأينا .

وبعد عهد الخلفاء الراشدين ، نرى الأمر نفسه يتكرر ؛ فإن الأمام مالك بن أنس يروى أن عبدا سرق فصله من نخل من بستان رجل فغرسها فى بستان سيده . فاستعدى ذلك عليه مروان بن الحكم الأموى ، فأراد مروان قطع يده فانطلق صاحب العبد إلى رافع بن خديج وسأله عن ذلك فأخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا قطع فى ثمر ولا كثر » والكثر : الجمار . ثم مشى رافع مع صاحب العبد إلى مروان ، وذكر له ما سمعه عن الرسول ، فأمر مروان بالعبد فأطلق .

وننتهى من هذا بذكر حادثتين حصل فيهما الرجوع عن حكم كان سنده « الرأى » وذلك بعد أن علم القاضى بما ورد فى هذا من سنة عن الرسول لم يكن يعرفها . وهذان الحادثان هما :

— ١ اشترى مخلد بن خفاف غلاما فاستغله ثم عرف أن فيه عيبا . فخاصم فيه صاحبه إلى عمر بن عبد العزيز ، فقضى عمر برد الغلام إلى بائعه ورد غلته التى استفادها المشترى منه ، فأتى المشترى عروه بن الزبير فأخبره ، فذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى فى مثل هذا أن الخراج بالضمان — يريد أنه ليس على المشترى أن يرد للبائع غلة الغلام معه — وأنه سيقول لعمر بن عبد العزيز أن هذا سمعه عن عائشة أم المؤمنين ؛ فلما علم عمر بذلك قال : ما أيسر على من قضاء قضيته ، والله يعلم أنى لم أرد فيه إلا الحق ، فبلغتنى فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرد قضاء عمر — يعنى نفسه — وانفذ سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان

أن تم ذلك ، أى على الوجه الذى رآه عروة، اتباعا لسنة الرسول .

— ب وهذا الحادث الثانى : يرويه الإمام الشافعى كسابقه عن ابن ذئب أيضاً ، وذلك إذ يذكر أن سعد ابن ابراهيم قضى على رجل برأى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وكان من شيوخ أهل الرأى وتوفى عام ١٣٦ ، فأخبرته أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قضى بخلاف ما حكم به ، فقال سعد لربيعة : هذا ابن ذئب ، وهو عندى ثقة ، يخبرنى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخلاف ما قضيت به فقال له ربيعة : قد اجتهدت ومضى حكمك ، فقال سعد : واعجبا !! أنفذ قضاء سعد بن أم سعد وأرد قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم !! بل أرد قضاء سعد بن أم سعد وأنفذ قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم دعا سعد بكتاب القضية فشقه ، وقضى للمقضى عليه ، اتباعا لما جاء عن الرسول ،

هذه هى منزلة السنة من القرآن فى التشريع ، وهذا هو موقف الصحابة والتابعين والفقهاء فى كل العصور منها ورجوعهم عن آرائهم وأحكامهم ، متى عرفوا شيئا منها لم يكن يعرفوه ، وكان فيه حكم للحوادث والمسائل التى كانوا يبحثون باجتهادهم عن أحكام لها . فليس لأحد بعد ذلك كله أن يزور عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم متعللا بهذه التعلة او تلك ، بل أحرى بنا على أن نحمد الله على إن وجدنا هذا التراث المجيد الزاخر بين ايدينا يهدينا سواء السبيل .

ثم علينا بعد ذلك إلا يكون همنا الإشادة بماضينا المجيد وتراثنا القيم الخالد ، بل علينا — اذا كنا نعنى حقا ما نقول — أن نفيد من هذا التراث ، وبخاصة القرآن والسنة ، فى الناحية التشريعية ، وفى رأينا أنه يجب البدء بجمع آيات الأحكام وأحاديثها من مراجعها الأصلية التى بين أيدينا ، وأن نعكف على فهرستها على أبواب القانون بفروعه المختلفة وأن ندرسها دراسة جادة لبيان ما تحتويه من أحكام فى مختلف شئون الحياة وحينئذ يكون من الميسور أن نستفيد ويستفيد منها رجال القانون .

فهل يستمع لهذا الرجاء القوام على المؤسسات الرسمية وغير الرسمية التى تعنى بالإسلام والعلوم الإسلامية وبالمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم ؟ نرجو ونأمل ، وكلنا على ثقة بالله وعونه الذى يؤتيه من يعمل مخلصا له ولدينه الذى رضيه لنا وللعالم كله ، وهو وحده المستعان

حديث فى التصوف

للاستاذ : حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة

(٢)

مذاقات الصوفية من مذاقات الصحابة :

وإذا قيل بان الصحابة وهم أفضل جيل لم يتكلموا بشىء من ذلك فإننا لا نستطيع أن ندعى أنهم لم يتذوقوا هذه المقامات من مذاقات الإيمان الحق واليقين الصادق بل ان اخبارهم تؤيد ما قال به الصوفية تأييدا تاماً وستأتى الأدلة ناصعة من الكتب والسنة ، وإذا كان الصوفية قد افشوا من مشاعرهم مالم يفشه الصحابة فذلك لأنهم وجدوا الزمن قد تغير والنفوس قد صدأت والقلوب قد غفلت فاضطروا لأن يصونوا روح الدين فدونوا عليهم الذوق حتى لا يموت أهله وقصدوا بعملهم هذا أن يستنهضوا الهمم فى طلب الله وأن ينيروا سبيل السلوك الحق لمن أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا .

وقد كشف القرآن الكريم فى بعض المواضع عن كوامن الأحاسيس الباطنة فى مثل قوله تعالى :

« وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا إلا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » .

وما كنا ولا كان زملاؤهم الصحابة يعلمون أن توبتهم وانابتهم إلى الله بلغت هذا الحد لولا أن كشف عنه الله .

وأخرج الشيخان عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن موسى قال للخضر (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا) يا موسى انى على علم من الله علمنيه لا ينبغى لك أن تعلمه

وأنت على علم علمك الله لا ينبغى لى أن أعلمه .

وأخرج البزار والبيهقى فى الشعب عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى رجلا يقال له حارثة فقال كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت مؤمنا حقا فقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك ، فقال عزفت نفسى عن الدنيا وأسهرت ليلى وأظمأت نهارى فكأنى أنظر إلى عرش ربى وكأنى أنظر أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أسمع عواء أهل النار فقال عرفت فالزم .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة فى حديث سؤال جبريل عن الإحسان ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وقد قال همام ـــ وكان رجلا عابدا ـــ لمولانا الامام على كرم الله وجهه :

يا أمير المؤمنين : صف لى المتقين حتى كأنى أنظر إليهم فتثاقل الامام عن إجابته ولكنه ألح عليه فقال فيما قال :

« نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء ولولا الأجل الذى كتب لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب، عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم ، فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها فهم معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة . صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها .

« فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين وحزما فى لين وإيمانا فى يقين وحرصا فى علم وعلما فى حلم وقصدا فى غنى وخشوعا فى عبادة وتجملا فى فاقه وصبرا فى شدة وطلبا فى حلال ونشاطا فى هدى وتحرجا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسى وهمة الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يبيت حذرا ويصبح فرحا، حذرا من الغفلة وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، ان استعصت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤالها فيما تحب ، قرة عينيه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى . إلى آخر هذا الوصف الرائع الذى يصعب على غير الامام أن يأتى

بمثله رضى الله عنه وكرم الله وجهه وقد كشف به عن أحوال الصحابة وهم أئمة المتقين وتؤيد هذه الأحوال مسلك الصوفية الذين حذروا حذو الصحابه فى مسيرهم إلى الله .

وتلك الأدلة قاطعة بأن مسلك الصوفية هو احياء انهج السابقين الأولين .

مم اشتق اسم الصوفية :

جاء فى الرسالة القشيرية ما خلاصته : يقال رجل صوفى وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف والجماعة متصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق وإلا ظهر فيه أنه كاللقب .

أما قول من قال أنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كأن يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ، ومن قال أنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجىء على نحو الصوفى ومن قال أنه من الصفاء فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة ومن قال أنه مشتق من الصف فكنهم فى الصف الأول بقلوبهم . من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف .

وقال الامام القشيرى أيضا وتكلم الناس فى التصوف ما معناه وفى الصوفى من هو . فكل عبر بما وقع له .

وقد تخيرت لكم بعض ما قيل فى هذا الباب :

قال الجنيد — التصوف هو ذكرا مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع .

وقال الكتانى — التصوف هو خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء .

وقال أبو محمد الجريرى — التصوف هو الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى .

وقال محمد بن على القصاب — التصوف هو أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

وقال رويم — التصوف هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

وقال أبو على الروذبارى — التصوف هو صفوة القرب بعد كدورة البعد .

وقال الشبلى — الصوفى منقطع عن الخلق متصل بالحق كقوله تعالى واصطنعتك لنفسى قطعه عن كل غير ثم قال ان ترانى .

وقال ذو النون المصرى — الصوفية قوم آثروا الله على كل شىء فآثرهم الله عز وجل على كل شىء .

وقال سمنون — التصوف هو أن تملك شيئا وألا يملكك شىء .

ولسيدى أبو العباس المرسى لفتة لطيفة وتخريج ظريف إذ قال رضى الله عنه صوفى كلمة مركبة من أربعة أحرف : ص ، و ، ف ، ى .

فالصاد : صبره وصدقه وصفاؤه .

والواو : وجده ووده ووفاؤه .

والفاء : فقده وفقره وفناؤه .

والياء : ياء النسبة فإذا تكمل فيه ذلك فقد أضيف إلى حضرة مولاه .

وقال بعضهم :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

قواعد التصوف

يقوم التصوف على قواعد خمس هى :

أولا : محاسبة النفس :

النفس بطبعها أمارة بالسوء والصوفية لا يحارون النفس فى حديث الشهوات ولا فى خوطر السوء بل يحاسبونها ويدفعونها بهذه المحاسبة إلى السمو والترقى ويحولون بينها وبين الإنحطاط إلى الرذيلة ، وعندهم أن الغفلة عن الله ذنب يجب الاستغفار منه ولذلك يقولون ان توبة العوام من الزلات وتوبة الخواص من الغفلات . وهم يستعينون فى تربية نفوسهم بالذكر والطاعات ومراقبة الخواطر ولهم فى ذلك المضمار مجاهدات تنتهى بهم إلى صفاء المعرفة والركون إلى الله والأنس به فى جميع الأوقات والأحوال .

وكفى النفس اللوامة شرفا أن يقسم بها الله تعالى فى قوله الكريم « لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة .

وفى هذا المقام أسوق حادثة طريفة وقعت أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث عين اماما على جماعة . وكان رضى الله عنه معروفا بحسن فراسته فى الرجال فشكت إليه الجماعة من أن امامهم يصلى ثم يغنى ، فاستغرب أمير المؤمنين الأمر وسأل الامام أحقا ما يقولون من أنك تصلى ثم تغنى ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال ماذا تغنى ، فأجاب إنى أغنى فأقول :

وفؤادى كلما عاتبته عاد للذات يبغى تعبى
لا أراه الدهر إلا لاهيا فى تماديه فقد برح بى
يا قرين السوء ما هذا الصبا فنى العمر كذا فى اللعب
وشباب بان منى فمضى قبل أن أقضى منه أربى
نفسى لا كنت ولا كان الهوى اتقى المولى وخافى وارهبى

فما كان من أمير المؤمنين رضى الله عنه إلا أن قال لهم : من كان منكم مغنيا فليغن هكذا .

وها هو أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يحدث عروة بن الزبير عنه فيقول رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت يا أمير المؤمنين لا ينبغى لك هذا فقال لما أتتنى الوفود سامعين مطيعين دخلت فى نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى اناثها .

من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يجبرها على مكروهها فى سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شىء منها فقد أهلكها. فكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه ويوسف الصديق يقول وما أبرىء نفسى أن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى .

ومن حكم الصوفية : من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات محصورا فى سجن الهوى وحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى ولا يستحليه وان كثر ترداده لقوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق .

وقال ذو النون المصرى : إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء: ضعف النية بعمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل والرابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق والخامس تبعوا اهواءهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثيرا مناقبهم .

وقال ابن عطاء :

النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب ـ فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة ، فمن أطلق عنانها فهو شريك معها فى فسادها . وقال عمرو بن عثمان المكى : العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك جموع خداعة رواغة فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد .

وأقوالهم فى هذا الباب كثيرة فليراجعها من شاء فى مراجعها .

ثانيا : قصد وجه الله تعالى :

هذه القاعدة قاعدة أساسية فى الدين ، وقد قال الإمام الشافعى رضى الله عنه حديث (إنما الأعمال بالنيات) يدخل فى نصف العلم .

ويقول الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقد جاء فى الحديث الشريف عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: اخلاص العمل لله تعالى ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين » . ويقول الصوفية : النية عبوديه القلب والأعمال عبودية الجوارح .

وقد قال سيدنا معاذ بن جبل لحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حين أرسله إلى اليمن : يا رسول الله عظنى فقال له : أخلص دينك يكفك العمل القليل. ومن حكم أبى عثمان الصوفى : الإخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام وأما إخلاص الخواص فهو ما يجرى عليهم لا بهم فتبدوا منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك إخلاص الخواص.

وقال استاذى العارف بالله الشيخ على عقل وقد كان رضى الله عنه يلقن الحكمة

إلهاما من عطاء الله تعالى وكنا ندون بعض مايجرى على لسانه من ورده الأصفى :

أسعى لخالقى وأقصد وجهه ... وعن المسير إليه لن أتخلفا
يا مالكا روحى ومانحها الهدى ... أنظر إلى فأنت أكرم من عفا
إن قيل من فلت امرؤ فى ربه ... ساع وهذا فى انتسابى قد كفى
لا والذى غمر العباد بفضله ... إنى بغير الله لن اتشرفا

ثالثا : الزهد فى الدنيا :

ويقصدون به الزهد فى الحرام أما الحلال فمباح وان كثر عليهم المال الحلال شكروا الله بانفاقه فى الأوجه التى يرتضيها ويقولون ان مال الصحابة كان فى أكفهم لا فى قلوبهم فبذلوه رخيصا فى مرضاة الله ويقولون كذلك ان الصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال الحلال.

وقد قال الامام أحمد بن حنبل فى هذا المقام . الزهد على ثلاثة أوجه :

الأول : ترك الحرام وهو زهد العوام .

والثانى : ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص .

والثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين .

وأخيرا يعرف الصوفية الزهد فيقولون هو ألا تفرح بموجود من الدنيا ولا تتأسف على مفقود فيها عملا بقوله تعالى :

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

ولا يظن ظان ان الدين الإسلامى يقف فى سبيل كسب المال لأنه زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة فها هو كتاب الله يقول «فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه» كما يقول « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله» ويقول « فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » . وكل ما يطلبه الدين الحنيف هو أن يكسب المؤمنون مالهم من حلال ولا يفتتنوا بالدنيا مهما أقبلت عليهم ولا ينسوا فى غمراتها حياة الآخرة التى هى خير وأبقى .

وقد كان امامنا الصديق رضى الله عنه يقول : والله لأن تقدم عنقى فتضرب فى غير حد أحب إلى من أن أخوض غمرات الدنيا .

وقد كانت للصحـــابة تجارة وزراعة وكانت لهم أموال ولكنها وصلت إلى أيديهم ولم تركن إليها قلوبهم كما سبق القـــول لذلك تصرفوا فيها تصرف المستخلفين فى الأرض ولم يفتتنوا بها وأنفقوا فى سبيل الله ما فضل عن حاجاتهم منها لا بل كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

والواقع أن زهـــد الصحابة صار مضرب المثل لأنهم فتحت عليهم الدنيا فلم يغتروا بزخرفها وآثاروا رضاء الله تعالى على ارضاء حظوظهم وبذلوا الأموال طيبة بها نفوسهم . ولا زلنا نذكر مواقف لهم خالدة مثل موقف الصديق رضى الله عنه حين قدم كل ما يملك لله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما أبقيت لك ولعيالك فقال ، وما أبدع ما قال ، أبقيت لهم الله ورسوله . أو موقف أمير المؤمنين عثمان بن عفان الذى جهز جيش العسرة (وعدته عشرة آلاف مقاتل) بسبعمائة بعير محملة بالزاد وأعطى كل مقاتل دينارا من ذهب ولم يكتف بهذا بل جاء بألف دينار وصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ صلى الله عليه وسلم يقلبها بين يديه ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعدها .

فالصوفية حين يدعون إلى الزهد لايدعون إلى الزهد من عدم ولكن يدعون إلى الزهد من وجود ، وهذا هو حقيقة الزهد ، أما الزهد من العدم فهو كالعدم إذ من الجائز أن يفتتن الزاهد المعدم لو طالت يداه المال (كلا ان الإنسان ليطغى ان رآه استغنى) والابتلاء بالمال ابتـــلاء كبير (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ويا سعادة من اجتازه بنجاح وما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا .

رابعا : توطيد القلب على الرحمة والمحبة للمؤمنين :

وصف الله المؤمنين بأنهم رحماء بينهم كما ربط بينهم برابطة الأخوة فى قوله تعالى « إنما المؤمنون اخوة » . وهذه الأخوة تقتضى المحبة والتراحم . وقد مثل حبيبنا المصطفى جماعة المسلمين بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . وجاء فى الحـــديث الشريف « من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم » .

وقد وصف الله حبيبنا المصطفى فقال :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وكان أمامنا ابن حنبل رضى الله عنه يقول « لو كان لى دعوة مستجابة لدعوت للوالى بصلاح الحال لأن فى صلاحه صلاح الرعية » وقد حثت السنة المحمدية المطهرة على تعميم الدعاء للمسلمين — لترويض نفوسهم على التراحم والتماسك. وجاء فى مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان إذا نزل بالمؤمنين بلاء لا يضحك قط حتى يرتفع ذلك البلاء.

خامساً : التحلى بمكارم الأخلاق :

وهذه القاعدة هى جماع الفضائل كلها ، وقد امتدح الله حبيبنا المصطفى بقوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » وقال صلوات الله وسلامه عليه إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال أدبنى ربى فأحسن تأديبى.

ولن يكون المؤمن متحليا بمكارم الأخلاق حتى يتخلق بالخلق النبوى الكريم. وقد سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه. وما أحلى ما قاله حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم : أنتم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق. وقد قال العارفون أن مكارم الأخلاق منحصرة فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». كما قالوا ان الاستقامة تنهى عن الشر والصلاح يأمر بالخير. وذهبوا إلى أن التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى التصوف.

وروى أن أمير المؤمنين أمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه — دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه ، فقام إليه فرآه مضطجعا فقال « أما تسمع يا غلام » فقال نعم « قال فما حملك على ترك جوابى » فقال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال « امض فأنت حر لوجه الله تعالى ». وبهذا الخلق الكريم قابل الإمام كرم الله وجهه السيئة بالحسنة (ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار).

« البحث مستمر »

بين الشريعة والحقيقة

للدكتور عبد الحليم محمود

استاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

« رأى المرحوم الشيخ عبد الواحد يحي »(١)

يبدو أن كثيراً من الناس يشكون فى ضرورة التزام الشريعة لمن يريد أن يسلك السلوك الصوفى ، وهذا فى الواقع استعداد نفسى لا يوجد إلا فى الغرب الحديث ، ولا شك فى أن أسباب ذلك متعددة ، ولا يعنينا هنا البحث فى مدى المسئولية التى تقع على عاتق رجال الدين أنفسهم الذين يميلون إلى إنكار كل ما يتجاوز حدود الشريعة فى مظهرها الحرفى ، فليس ذلك جوهر بحثنا هنا ؛ بيد أنه من المدهش أن بعض من يقعون فيما وقع فيه رجال الشريعة ، وإن كان بطريقة عكسية ، ذلك أنهم ينكرون ضرورة الشريعة أو يهملون العمل بها .

وقد يكون من المحتمل أن نرى أحد ممثلى الشريعة يجهل التصوف ، وإن كان جهله لا يبرر إنكاره ، ولكن ليس من المحتمل وليس من الطبيعى أن يجهل رجل التصوف ميدان الشريعة ، ولو من جانبها العملى ، ذلك أن الأكثر ، وهو . « التصوف » يتضمن بالضرورة الأقل ، وهو . « الشريعة » .

---

(١) الشيخ عبد الواحد يحيى من كبار المفكرين العالميين ، نشأ فى فرنسا كاثوليكيا ، وانتهى به البحث إلى الإسلام والتصوف ، ومارس التصوف نظريا وعمليا ، حتى ليعد أكبر الحكماء فى العصر الحديث ، وقد توفى بالقاهرة منذ بضع سنوات ، وترجمت كتبه إلى اللغات الحية ، وأثره فى الغرب كبير ، إلى درجة أن كثيراً من الجمعيات فى أوروبا كونت باسمه لتتابع أثره وتحذو حذوه ، وهو فى هذه الكلمة يكتب عن تجربة وخبرة وممارسة لا عن وجهة نظرية فحسب .

على أن نظرة من يريد أن يسلك السلوك الصوفى ، إلى الشريعة ، من حيث عدم أهميتها ، وعلى الخصوص ، أهمية الجانب العملى منها بالنسبة له .. هذه النظرة تتضمن ، ولو نظريا ، تقليل أهمية الجانب العملى فى التصوف نفسه . وفى هذا الخطورة كل الخطورة ، فإنه من المشكوك فيه كثيراً ، أن يتوفر للشخص الذى عنده هذه الفكرة ، الاستعداد الصوفى ، ومن الخير له أن يلتزم الشريعة التزاما كلياً قبل أن يبدأ السلوك ، فإذا لم يمكنه التزامها فلا خير فيه ، بالنسبة للجانب الصوفى .

إن تقليل شأن الشريعة إنما هو مظهر من مظاهر الروح التى لا تبالى بما أنزل الله . وإعادة تكوين الروح الخاضعة لما أنزل الله هو أول خطوة فى طريق السالكين .

وتجاهل الناحية العملية : إنما هو سمة من سمات الغرب الحديث على الخصوص ومن الطبيعى أن يقوم الجو الدنيوى الذى يعيش فيه الغربيون عقبة فى سبيل فهمهم للجانب العملى من الشريعة وممارستهم له ، بيد أن مقاومتهم لهذا الجو الدنيوى ، هو بالضبط العلاج لانحرافهم هذا ، وهو السبيل إلى عودتهم إلى النهج المستقيم . أعنى التزام الشريعة .

قلنا : إن الاتجاه النفسى الذى نتحدث عنه هنا : إنما هو سمة من سمات الغرب الحديث . وفى الواقع لا يمكن أن يوجد هذا الاتجاه فى الشرق ، ذلك أن الروح الدينية الصحيحه لا تزال مسيطرة فى بيئاته .

ثم أن الشريعة والحقيقة متصلتان اتصالا يجعل منهما مظهرين لشىء واحد ، أحدهما خارجى والآخر داخلى ، أو أحدهما ظاهر والآخر باطن .

لذلك كان ما يوجد فى الغرب الآن ، من جماعات تدعى أنها على النهج الصوفى وهى مع ذلك لا ترتكز على أية شريعة إلهية ، مجرد خداع ، ومن البديهى أن هذه الجماعات — من وجهة النظر الصوفية الصحيحة — ليست على شىء .

ولشرح الأشياء بأبسط الطرق نقول :

إن الإنسان لا يشيد القصر فى الهواء ، إنه لا يشيده على غير أساس ، وكل

فكرة لا ترتكز على أساس من السنة الصحيحة إنما هى بناء فى الهواء ، إنها بناء على غير أساس .

والبناء الذى يمكن أن يبقى على الدهر لابد له من أساس مدعوم ، وعلى الأساس يرتكز البناء كله ، حتى الأجزاء العليا منه ، والارتكاز على الأساس يستمر حتى بعد انتهاء البناء .

وعلى هذا النمط تكون النسبة بين الشريعة والتصوف ، فالشريعة الصحيحة هى الأساس الذى لابد منه لكل سالك ، وكالأساس تماما . لا يمكن طرح الشريعة بعد سلوك الطريق .

بل نقول أكثر من ذلك : إنه كلما سار المتصوف فى طريقه واستغرق فيه ، بدت له ضرورة الشريعة واستنارت معرفته بها ، وأصبح فهمه لها أكثر عمقا وأكثر دراية بحقيقتها من هؤلاء الذين درسوها وآمنوا بها دون أن يضربوا بسهم فى الميدان الصوفى ؛ ذلك أنهم لا يرون من الشريعة إلا مظهرها الخارجى ، ولكن الصوفى يعيش فى جوها الروحى ، ويحياها ، إذا أمكن هذا التعبير .

على أن هذا الذى لا يعتنق شريعة صحيحة ولا يلتزمها ، لا يمكن أن يحيا إلا حياة دنيوية بحتة ، فلا يمكن أن يطلق عليه رجل دين فضلا عن أن يطلق عليه وصف الصوفى .

على أن الغربيين الذين يجعلون الدين بمعزل عن نشاطهم اليومى ، كما هو شأن الأكثرية الساحقة منهم ، لا يمكن أن يوصفوا بأنهم متدينون ، وإن آمنوا بعيسى وأدوا الشعائر الكنسية .

وإذا كان لا يقبل من رجل الدين أن يعلن تدينه دون أن يجعل للشريعة السيطرة على قياده ، فإنه لا يقبل من باب أولى من رجل التصوف أن يزعم انتسابه إلى الصوفية دون أن تسيطر شعائر الدين والتزاماته على حياته .

وهناك لاشك ، نوعان من الحياة : حياة دينية وحياة دنيوية ، ومع ذلك فالفرق

بينهما إنما هو من جهة ما تصطبغ به فكرة الإنسان عن الأعمال التى يؤديها .

أريد أن أقول : إن الأعمال فى نفسها لا توصف بأنها دينية أو دنيوية وإنما يتأتى لها أحد الوصفين بسبب سيطرة الفكرة الدينية عند القائم بهذه الأعمال أو عدم سيطرتها ؛ وقد يكون العمل واحدا فى نوعه ويؤديه شخصان ، فيوصف عند أحدهما بأنه دينى وعند الآخر بأنه دنيوى ، فإن كان القصد الله فالعمل دينى وإن كان القصد شيئا آخر فالعمل دنيوى ، والحديث الشريف يوضح هذه الفكرة كل التوضيح :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » .

ومن البديهى أن الحديث فى أوله عام بالنسبة لكل الأعمال ، وأن مسألة الهجرة فيها تطبيق جزئى لقضية عامة .

وفى العصور القديمة لم يكن هناك تفرقة بين دين ودنيا ، بل لم يكن هناك مجرد الفهم أو مجرد التخيل لفكرة الانفصال هذه ، وإنما نشأت هذه الفكرة حينما تدهورت الإنسانية وانحطت شيئا فشيئا ، وها نحن أولاء قد وصلنا فى هذا التأخر إلى درجة أن الغرب حاليا يصعب عليه كل الصعوبة أن يفهم فكرة ضرورة سيادة الروح الدينية فى مجتمعاته ؛ إنه على نهج انفصالى لا يوجد فى الحياة السليمة .

وإننا نرى ضرورة التزام الشريعة لكل إنسان ، ولكننا نؤكد - ونحن على يقين من الأمر - لهؤلاء الذين يريدون أن يسلكوا الطريق الصوفى ، بأنهم لن يصلوا حتى إلى أولى مراحل الطريق إذا لم يلتزموا الشريعة التزاما تاما .

وبالله التوفيق .

بين شقيق البلخى وهارون الرشيد

التقى شقيق البلخى الصوفى الزاهد بهارون الرشيد فى موسم الحج ، فقال هارون: أأنت شقيق الزاهد ؟ قال : أنا شقيق ولست بزاهد ، فقال له أوصنى . فقال : إن الله تعالى أجلسك مكان الصديق ، وإنه يطلب منك مثل صدقه ، وإنه أعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وإنه يطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله ، وإنه أقعدك مكان عثمان بن عفان ذى النورين وهو يطلب منك مثل حيائه وكرمه ، وأعطاك موضع على بن أبى طالب وهو يطلب منك العلم والعدل كما طلب منه .

فقال له : زدنى من وصيتك . فقال : نعم ، اعلم أن لله تعالى داراً تعرف بجهنم ، وإنه قد جعلك بواباً عليها ، وأعطاك ثلاثة أشياء : بيت المال والسوط والسيف ، وأمرك أن تمنع الخلق عن دخول النار بهذه الثلاثة .

فمن جاءك محتاجاً فلا تمنعه عن بيت المال ، ومن خالف أمر ربه فأدبه بالسوط ، ومن قتل نفساً بغير حق فاقتله بالسيف ، بإذن ولى المقتول ، فإن لم تفعل ما أمرك فأنت الزعيم لأهل النار والمقدم إلى دار البوار .

فقال له : زدنى . فقال : إنما مثلك كمثل معين الماء وسائر العلماء فى العالم كمثل السواقى ، فإن كان المعين صافياً لا يضر كدر السواقى ، وإذا كان المعين كدراً لا ينفع صفاء السواقى .

قال : زدنى . قال :

اجعل الله نجاحك فى كل عمل ، واجعله معك فى كل نية ؛ وانظر إلى شئون الناس قبل شئون بيتك ، واحذر أن تنتقض عروة من عرى الدين فى عهدك ، أو أن ينتقص شبر من أرض الإسلام فى ولايتك ، فكل امرىء يوم القيامة يسأل عن نفسه ، وأنت تسأل عن المسلمين كافة .

ثم ولى شقيق منصرفا . فقال هارون رويدك . حتى . نحسن صلتك ، فصاح شقيق ، لو نشدنا صلتك لم نحسن نصحك .

تعليق على مناظرة :

عقوبة الاعدام

بين

الإلغاء والإبقاء

الدكتور سليمان دنيا

أستاذ الفلسفة والتوحيد بكلية أصول الدين

لقد كنت بين شهود هذه المناظرة ، وسمعت ما قيل من كل من الطرفين المتناظرين ، وقد عنّ لى أن أسجل هنا بعض الملاحظات على وجهة النظر الذاهبة ، إلى إلغاء عقوبة الإعدام ، التى كان يمثلها الدكتور ملاك جرجس وزميله القاضى . وهذه الملاحظات هى:

أولا : أن الدكتور ملاك جرجس قد صرح بضرورة بقاء عقوبة الإعدام بالنسبة للجرائم المتعلقة بأمن الدولة ، خصوصاً فى حالة الحرب ، ولا شك أنه باعترافه بضرورة بقاء عقوبة الإعدام بالنسبة لهذا النوع من الجرائم ، يكون قد ناقض نفسه ؛ لأن أساس المناظرة هو : هل تبقى عقوبة الإعدام ، أم تلغى؟ وكان هو فى الطرف صاحب فكرة إلغاء العقوبة، فاستثناؤه لها بالنسبة لبعض الجرائم ، اعتراف منه بضرورة بقاء العقوبة .

ثانياً : أن الدكتور ملاك نفى أن يكون لاختلاف الظروف الطبيعية للبيئات ـ من حر ، وبرد ، وخلافه ـ أثر فى تكييف سلوك الأفراد . وعلل زيادة الجرام فى الأقاليم الحارة ، عنها فى الأقاليم الباردة ، بأن الناس فى الأقاليم الحارة ، تتاح لهم فرصة الاختلاط ، أكثر من أصحاب الأقاليم الباردة ، وعن الاختلاط ينشأ الاحتكاك ، وعن كثرة الاحتكاك تنشأ الجرائم .

ورتب سيادته على وحدة السلوك ـ رغم اختلاف الظروف البيئية ـ

ضرورة انتفاعنا بشرائع الدول الأجنبية .

ولا أريد أن أقف مع سيادته ، بين دعوى وحدة السلوك — رغم اختلاف البيئات — وبين اعترافه بازدياد الجرائم فى البلاد الحارة ، نتيجة لكثرة الاحتكاك ، الناشىء من الدفء الذى يتيح فرصة الاختلاط لأسائله : أليس هذا اعترافا باختلاف السلوك نتيجة لاختلاف ظروف البيئة ، بل انتقل إلى رأى زميله القاضى الذى انتقد فى تهكم لاذع أن نعول على غيرنا فى تقنيناتنا وتشريعاتنا ، ودعى إلى ضرورة استنباط تشريعاتنا من بيئتنا .

فهذا الموقف غير الموحد بين الزميلين اللذين يناصران رأياً واحداً ، يجعلنا فى حيرة من أمرهما ، فأى الرأيين نأخذ ، وأيهما ندع .

ثم أنه قد فات السيد القاضى أن يلاحظ أن من أهم مقومات البيئة التى ينبغى رعايتها عند صياغة التشريع الذى يرى ضرورة اشتقاقه من البيئة ، العقيدة ، إذ العقيدة عامل هام له أثره فى تكوين سلوك الآخذين بها .

وقد أبان سيادة النائب العام — فى الخلاصة التاريخية القيمة التى قدم بها بين يدى المناظرة — أن الديانة المسيحية ليس فى نصوصها السماوية تعرض لعقوبة الإعدام بإثبات أو بنفى . وأن رجال الفقه المسيحى فريقان بصدد هذه المسألة ، فريق يثبتها ، وفريق ينفيها . وأن اليهودية والإسلام صريحان صراحة لا تقبل التأويل فى إثباتها .

ومعنى ذلك أن بقاء عقوبة الإعدام ، أو إلغاءها ، لا يتعارض مع الديانة المسيحية ، أما بالنسبة لليهودية والإسلام ، فالإلغاء يتعارض معهما تعارضا تاما ، ويصادم مشاعر الآخذين بهاتين الديانتين فكيف فات السيد القاضى وهو يتحدث عن تشريع للعرب ، وهم بين مسيحيين ويهود ومسلمين ، أن يلاحظ ضرورة احترام العقيدة ، واتخاذها أصلا من أصول التشريع ، ما دام يدين بالنظرية التى تدعو إلى ضرورة اشتقاق قانون الأمة ، من ظروفها ومقومات بيئتها ؟ كيف فاته أن يلاحظ أن التشريع الذى يقوم على أساس من عقيدة الأمة ، يكون له من القداسة والاحترام فى نفوس المشرع لهم . ما لا يكون لغيره؟

وأحب أن لا يفوتنى هنا أن ألاحظ أن الدكتور ملاك جرجس ،

غير متناقض مع نفسه فى هذه النقطة به فإن دينه لم ينص على إلغاء عقوبة الإعدام، أو إثباتها ، ومعنى ذلك أن الأخذ بواحد من الرأيين ليس فيه تعارض مع دينه ، أما السيد القاضى المسلم الذى يعترف بأن دينه ينص على إثبات عقوبة الإعدام ، ثم يصرح بأنه فى هذه المسألة غير متقيد بدينه ، فقد كان موقفه غير مفهوم ؛ إذ ما معنى أن لا يتقيد المرء بأحكام دينه ، مع اعترافه بأنه دين صحيح من عند الله ؟

وأعود إلى الدكتور ملاك ، فأقول : إنه وهو يشرح ضرورة استمدادنا من تشريعات الأجانب ، قد قرر نفى الوراثة ، وأرجع كل عوامل تكوين السلوك إلى البيئة ، وقد كان يعلن بين كل جملة وأخرى من كلامه أنه يتكلم بلسان العلم ، لا بلسان العاطفة ، وأحب أقول له هنا : إن النظرية الصحيحة فى هذا المجال ، هى نظرية الوراثة ، فالإنسان ، والحيوان ، والنبات ، تتحكم فى كل منها عوامل تنتقل من الأصل إلى الفرع ، من غير أن يكون الإنسان بمقتضى الوراثة واقعا تحت تأثير عوامل الجبر والاضطرار ، فإن له من التفكير وقوة الإرادة ، إلى جانب التربية والبيئة ما يجعله قادراً على تعديل ميوله الموروثة : أما نظرية الصحيفة البيضاء والعجينة التى نكتب فيها ما نشاء ، أو نشكلها كما نشاء ، فليست بذاك .

ثالثاً : أن الدكتور ملاك قد قرر أن بعض الدول قد ألغت عقوبة الإعدام ، ثم عادت فأقرتها ، وفسر العودة إليها ، باختلاف وجهات أنظار الحكام الذين يتناوبون الحكم فى البلاد ، لا بازدياد جرائم القتل عقب الإلغاء ، لكن العضوان اللذان كانا فى الطرف المعارض للدكتور ملاك ، وكلاهما من رجال القضاء الذين يقفون على الاحصاءات الرسمية للجرائم التى تتبادلها الدول ، قد قرر كل منهما أن سبب العودة كان ازدياد جرائم القتل عقب الإلغاء .

ولا أحب أن يفوتنى أن أعلق على موقف الدكتور ملاك من هذه المسألة ، بأن معالجة المشاكل الخطيرة للأمم ، كمشكلة إلغاء أو إبقاء عقوبة الإعدام ، يجب أن لا يزج بنفسه فيها إلا إنسان تكون معلوماته التى يبنى عليها رأيه صحيحة ؛ فإن المعلومات غير

الصحيحة فى مثل هـذا الموقف من شأنها أن تجر الأمة إلى أخطار جسيمة.

رابعاً : أن السيد القاضى كان يستنكر عقوبة الإعدام قائلا: من هذا الذى نعدمه ؟ إنه إنسان . والإنسانية أجل وأكرم من أن نستهين بها هـذه الاستهانة ، وكان يشير سيادته إلى أنه سبقنا بمشاعره الرقيقة الحساسة جيلين إلى الأمام . ويتوقع سيادته أنه بعد جيلين سيدرك الناس قدر الإنسانية المعذبة بعقوبة الإعدام ، وسيعفونها من هذه العقوبة ، هكذا يرى سيادته. ولست أدرى كيف أساء سيادته الظن برجال القضاء فى المستقبل ، فتخيلهم ينظرون بعين واحدة . يرون بها إنسانية الإنسان المجرم ، فيرحمونها ويعطفون عليها ، ويغيب عنهم إنسانية الإنسان المجنى عليه ... الإنسان الذبيح ... مثل ذلك الإنسان الذى كان مضطجعا بجوار أمه فاقتحم عليهما كوخهما المتواضع ثلاثة ممن استبدت بهم العظمة . يحملون بأيديهم المدى المرهفة ، والأسلحة الفتاكة ، فأيقظوا الصبى وأيقظوا أمه ، وأجلسوهما أمامهم فى قسوة وعنف ، وسألوه : لم سرق الشاة التى تخصهم ؟ فنفى سرقته لها ، وأقسم لهم وأقسمت أمه معه ، على صدق قوله ، وتوسل إليهم بكل ألوان التوسل أن لا يقتلوه ، وتوسلت معه أمـه ، وذرفت دموع الذلة والضراعة بين أيديهم ، فلم ترق قلوبهم الغليظة لضعفهما واستسلامهمـا ، وأوثقوه ، وذبحوه ذبح الشـاة ، ومزقوه إرباً إربا ، وأمه شاخصة كالتمثال ، ثم تركوه قطعاً من اللحم ، وتركوا أمه فى ذهول من شدة الهول.

كما روت الأهرام فى عددها الصادر فى التاسع والعشرون من رمضـان سنة ١٣٧٩ .

كذلك تصور السيد القاضى رجال القضاء فى المستقبل ، وقد غابت عنهم إنسانية المجتمع كله ، وهو يعد بالملايين يعيشون فى فزع ورعب من هول الجريمة ، وفتك المجرمين .

فالإنسانية الجديرة باحترام رجال القضاء فى المستقبل — فيما يرى السيد القاضى — هى فقط إنسانية المجرم . أما إنسانية المجنى عليه الذبيح ، وأما إنسانية المجتمع المروع غير الآمن . فليست جديرة بالاحترام .

إنى لأتخيل رجال القضاء فى

المستقبل ، على خلاف ما تخيلهم السيد القاضى ، إنى أحسن الظن بهم ، فتخيلهم ينظرون نظرة فاحصة شاملة مستوعبة ، تبصر إنسانية المجرم ، وإنسانية المجنى عليه الذبيح ، وإنسانية المجتمع المروع غير الآمن ، وتعطى كل واحد منهم حقه بالقسطاس المستقيم .

وإذا كان السيد القاضى قد برر إلغاء عقوبة الإعدام بعدم جدواها ، وأنه رغم إيقاع العقوبة فالجريمة لا تزال فاشية . فليعلم سيادته أن العقوبات القائمة ، كانت إعداماً أو غير إعدام ، غير كافيه فى الزجر عن الجريمة ، وهذا هو سر شيوع الجريمة . يقول السيد الأستاذ وكيل النائب العام فى كلمته التى نشرتها له الأهرام الصادرة فى التاسع عشر من شوال سنة ١٣٧٩ : (نجاح القانون الجنائى) منوط بتحقيقه لغايات ثلاث :

أولا : الردع العام ، بمعنى أن يكون للعقوبات أثر بالنسبة للناس كافة ، فيمنع وجودها من ارتكاب الجرائم ، ويزجر توقيعها الناس عن العودة إليها .

ثانياً : الردع الخاص ، أن بمعنى يكون للعقوبة أثر بالنسبة للمجرم نفسه ، فتكون وسيلة لعلاجه ، عن طريق زجره وتخويفه ، أو عن طريق تهذيبه وإصلاحه ، بحيث يمتنع من العودة إلى الإجرام مرة أخرى .

ثالثاً : إرضاء الشعور بالعدالة ؛ إذ الجريمة بارتكابها تعد تحديا للمجتمع ، وفى الضرب على يد المجرم شفاء لما فى الصدور ، وإقامة لموازين القسط ، ورى لشجرة العدالة ، حتى تؤتى اكلها ، وتنشر ظلالها على الناس أجمعين) .

ثم تساءل سيادته قائلا : (تلك غايات أى نظام جنائى ناجح فهل حققها قانوننا الجنائى القائم ؟) .

ثم أجاب عن هذا السؤال بالإحصائيات التى أوضحت عدم تحقيق قانوننا الجنائى القائم ، لأية غاية من هذه الغايات . وكان مما ذكره سيادته عن جريمة السرقة قوله (ففى الفترة بين سنة ١٨٩١ وسنة ١٩٣٩

تزايد عدد جنح السرقة من « ٩٣٥٦ » إلى « ٦٥٥٨٧ » أى أن العدد تزايد سبعة أمثال ما كان عليه ، وهى زيادة لا يفسرها إلا فشل العقوبات القائمة فى تحقيق الردع العام ، وفى علاج الإجرام والمجرمين .

أما ماقد يقال: من أن لتزايد عدد السكان أثره ، فمردود عليه بأن عدد السكان لم يتضاعف خلال الفترة السابقة إلا مرة واحدة ، على وجه التقريب ، بينما تضاعفت الجرائم سبع مرات » .

ومما جاء فى كلمة سيادة النائب العام — رداً على أقوال السيد القاضى الذى ذكر أن عقوبة المخدرات على شدتها لم تنجح فى علاج الجريمة — أن عقوبة المخدرات لا تزال أقل مما تستحق الجريمة ، وذكر الصين الشعبية مثلا ، فقال سيادته . إنها لما عاقبت على هذه الجريمة عقوبة رادعة ، أصبحت أنظف بلاد العالم من المخدرات ، بينما كانت شر بلاد العالم إدمانا على المخدرات .

ويختتم السيد وكيل النائب العام حديثه فى الأهرام بقوله : (هذه أسباب رئيسية لفشل نظامنا الجنائى القائم نضعها جميعاً تحت سمع وبصر القائمين على وضع القوانين الجديدة ، ليبحثوا لنا مع أهل الرأى عن نظام آخر يقيم المعوج ويصلح الفاسد ، وإنهم لواجدوه بين أيديهم وبأيمانهم ، لا على موائد أوربا ، أو أميركا ، أو روسيا) .

إن هذه الصحيات المخلصة جديرة بأن تلقى من عناية المسئولين أذنا صاغية ، رؤسائنا المخلصين الذين يبغون لوطننا العربى نهضة يكون بها فى مقدمة الدول ، لا عالة عليها ، ويكون بها رائداً من رواد المجتمعات الناهضة المتوثبة التى تتميز بالجد والاستقرار والطمأنينة ، لا بالقلق والانحلال والميوعة . حمى الله قائد نهضتنا الرئيس جمال عبد الناصر .

١٩ من شوال سنة ١٣٧٩

١٤ من ابريل سنة ١٩٦٠

سليمان دنيا

أستاذ الفلسفة والتوحيد

بكلية أصول الدين

إلى السادة المشتركين

لقد تزاملنا وتعاونا عامان كاملان على إصدار « مجلة الإسلام والتصوف » . . منبراً حراً للدعوة الربانية ، ونبراساً قوياً نستضيء به فى هذا العالم المضطرب المصطخب بالماديات والالحاديات .

فمنها كتبنا عن الإسلام : كرسالة عالمية منقذة ، وهدى ورحمة للعالمين .

ومنها أعلناها صريحة : أن التصوف هو جوهر الإسلام وروحه وقوته الايجابية الفاصلة فى أحداث التاريخ .

ومنها حاربنا المنحرفين والمارقين وأعداء العروبة والوحدة وخصوم الايمان والإسلام .

ومنها نعلنها : قومية عربية متحررة مؤمنة ، تدعو الناس إلى الأخاء والسلام والتعاون الإنسانى .

ومنها نحمل الى العالمين الإسلامى والعربى : أصداء نفوسنا ، وأنوار آمالنا ، وكلمات ربنا ، وآداب نبينا ، وسيرة السلف الصالح من علمائنا وأوليائنا ومجاهدينا .

ومنها ستنبثق الوثبة الإسلامية الكبرى ، التى تعيد لنا رسالتنا ، ومكانتنا العالمية .

فبادروا الى تجديد الاشتراك ، واسهموا فى هذا الجهاد الذى يحبه الله ويرضى عنه ، حتى تتابع المجلة سيرها المبارك ، ورسالتها الربانية الهادية .

وترسل الاشتراكات : اذن بوسته ، أو حوالة بريد الى ادارة المجلة وقيمة الاشتراك السنوى ستون قرشا .

القرآن ذخر المسلمين

وتعاليم الإسلام حصنهم الأمين

للأستاذ السيد العنانى

خبر صغير نشرته الصحف فى زحمة استقبال عيد الفطر المبارك ، لم تأبه بأبرازه ولفت الأنظار إليه كما تفعل فى أتفه الأخبار التى تزاحم صفحاتها عما أكلته الفنانة فلانة أو لبسه الفنان فلان ، وهو ما يعتبه الناس على صحافتنا ، وكان الواجب أن يأخذ مكانه فى أبرز صفحاتها بأكبر حرف فى الطباعة ، كأحد القرارات الهامة التى يصدرها رجال الثورة اليقظون الحريصون على كل ما يرفع من شأن دينهم ويحفظه قويا كريما إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ، ومع ذلك استقبله المسلمون أكرم استقبال ، وكان له فى نفوس الكافة وقع الندى على الزهرة العطشى وقطرة الماء للكبد الحرى ، ذلك هو « قرار وزارة الأوقاف تشجيع حفظة القرآن الكريم من طلاب الجامعة والمدارس بمعاقتهم من المصروفات الدراسة » إلى جانب ما سبق له أن قرره من تشجيع لأئمة المساجد على قيامهم بتحفيظ وفتح المساجد لهذا الغرض النبيل .

ذلك القرار الذى أصدره وزير من وزراء الثورة يعتبر بحق فاتحة كريمة للعودة إلى العناية بكتاب الله ، ذخر المسلمين وعدتهم فى الدنيا والآخرة بعد أن بدأ واضحا انصراف الناس عن حفظه فى السنوات الأخيرة حتى أشفق المنكرون من مغبة ذلك على الإسلام والمسلمين .

إنها بحق لفتة كريمة من حكومة الثورة ممثلة فى وزير الأوقاف الشاب المسلم ، نحو أنبل ما يعتز به المسلمون من تراث .

وإذا كانت لنا بعد ذلك من أمنية نسجلها على صفحات (مجلة الإسلام والتصوف) التى يتروح فيها المسلمون نسمات الإيمان الصافى والثقافة

الإسلامية الرفيعة التى يجب أن ينهل منها شبابنا وشيوخنا والناشئة منا ، فهى أن تعمل وزارة التربية والتعليم على تقرير امتحان فى المدارس على مختلف درجاتها فى (الدين الاسلامى) كمادة أساسية من المواد الدراسية حتى يكون ذلك حافزا للناشئة على الوقوف على تعاليم دينهم ، ويغرس فى نفوسهم منذ الصغر ، فى ذلك عصمه لهم من الزيغ والضلال وعوامل الانحلال عند الكبر ، وننشىء أجيالا تعتز بدينها نقيا سالما من شوائب الجهل التى تشكو من انتشارها بيننا ، وبذلك تكون ثورتنا الكريمة المباركة التى شملت نشاطها كل النواحى قد وضعت أسس النهوض بالثقافة الإسلامية ، التى نرجو أن تنمو وتزدهر حتى تقود العالم فى المستقبل نحو الحياة الرشيدة الهانئة ، كما اخرجته فى الماضى من الظلمات إلى النور .

وأنا ، باسم من يعتزون بالقرآن الكريم ، فى شتى ربوع العالم ، اذ نكرر التهنئة للسيد / وزير الأوقاف على هذا القرار الحكيم ، لنأمل أن نقدم تهانينا للسيد / وزير التربية والتعليم اذ يستجيب لرجائنا فى تقرير الامتحان فى (الدين الإسلامى) كمادة أساسية من المواد الدراسية ، كما نأمل أن يمتد نشاط مشيخة الصوفية فى عهد سماحة شيخها الجليل ، المملوء حماسة وحمية لأحياء التراث الإسلامى والثقافة الإسلامية إلى العمل على تحقيق هذه الغاية .

السيد العنانى

مجلة الإسلام والتصوف :

يسرها أن تنشر للكاتب الصديق هذه التهنئة مكررة تهنئتها للسيد / وزير الأوقاف على قراره الرشيد ، وتأمل أن يحقق السيد / وزير التربية والتعليم أمنية المسلمين فى العناية بدراسة الدين الإسلامى بالمدارس على اختلاف درجاتها ، وأن يقرر الامتحان فيه كمادة أساسية ، حتى يحفز ذلك الطلاب على العناية بدرسه وننشىء أجيالا سليمة العقيدة سليمة التفكير ، محصنة ضد عوامل الانحلال والتفكك .

سكرتير جمعية الأهرام الروحية يتبرأ منها

موضة تحضير الأرواح

للأستاذ حسن عبد الوهاب

الحمد لله أستغفره وأستهديه وأتوب إليه مما ابتليت به قبل وكنت فيه وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد سيد الكون ورسول الثقلين نبي الرحمة وهادى الأمة وكاشف الغمة وعلى آله وذريته وأصحابه وتابعيه وبعد .

كانت الروحية الحديثة أو الدعوة الخبيثة قد شغفتنى ردحا من العمر كنت أحسب خلالها أنى أحسن صنعا . وزين لى باطلها ما روجه لها المروجون وزيف لها الداعون . أما عن حسن نية وسذاجة تفكير وأما عن سوء طوية وخبث تدبير فألبسوها ثوب العلم المتحرر والتجريب المتكرر حتى شغلت على تفكيرى وأفسدت على تدبيرى كيف لا وهى تزعم أنها تقتحم الغيب المجهول وكل غيب يستهويه الفؤاد وتتوق إليه العقول ؟ حتى فجأنى الحق جل جلاله فى لحظة فأزال الله جل وعز ببركة روحانية رمضان المبارك عن عين قلبى غشاوة الضلال وأبان لى الحرام من الحلال فعلمت ما فى هذه الدعوة الخطيرة الماكرة من سموم تستهدف تمييع العقيدة وتهوين سلطان الدين فى النفوس وعدم الاكتراث بفرائض الله وأوامره بل وامتهانها والتشكيك فى قيمتها ويكفى ما يبثه ما يسمونه سلفريرش أو نبى الروحية من عقائد زائفة فهو الذى يقول « إن ولاءنا لا لكتاب ولا لنبى ولا لعقيدة ولكن لله وحده » ويقول « دلونى على الرجل الذى لم يحن ركبته قط لله فلم يعترف به ولم يؤمن به بل أنكر وجوده وألحد فيه وهو مع ذلك يعامل الناس بخلق حسن لأقول لكم أنه هو الشخص السعيد الناجى فى عالم الروح » .

ولقد ثبت لى أخيراً ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه أن الشخصيات التى تحضر

فى جلسات التحضير وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب إن هى إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون .

والآن وقد انقشع عن قلبى زيف الباطل ببركة الحاحى فى الدعاء بقولى اللهم اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى الباطل باطلا فأجتنبه ، لست أشك إن وراء هذه الحركة منذ نشأتها يهودى خبيث كابن سبأ شأن كل الدعوات الزائفة البراقة من إخوان الصفا قديما إلى الشيوعية والماسونية حديثاً .

ولقد آليت على نفسى إبراء الذمة وانخلاعا مما كتبت أو حدثت ما جلست مجلساً دعوت فيه لهذه الدعوة الخبيثة عن نية إلا جلست مثيله لهدمها ونقضها ولا كتبت فى صحيفة مؤيداً لها إلا كتبت مستنكراً معتذراً متبرئا ومحذراً إخوانى المسلمين من خداعها وزيفها مقرراً بعد هذا الشوط الطويل إنى ماوجدت طريقاً صحيحاً إلى الله حقاً إلا فى كتابه العزيز وسنة رسوله النبى الأمى الذى لا ينطق عن الهوى والتعلق بأهل البيت وعترته الطاهرين .

والآن وأنا أودع هذه الحقبة الشقية من عمرى أجدد فيها إسلامى واستعيد فيها إيمانى أودع معها زملاء أعزاء وأصدقاء شرفاء لا أحمل لهم فى قلبى إلا كل عطف وإشفاق ورثاء ملحاً على الله فى الدعاء أن ينير بصيرتهم وينقذهم من أوحال هذه العقيدة الفاسدة مؤكداً لهم أمرين . أولهما أنه كقاعدة لا تتخلف ما من مشتغل بهذه الحركة إلا أصيب بفقد أحب أهله لديه وأعزهم عليه ويمكنهم تتبع ذلك فى كل من يعرفون وأنا أولهم . وثانيهما أن معتنق هذه العقيدة لا يموت حين يموت مسلما أو مؤمنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فاللهم إنى أعتذر إليك مما كتبت أو حدثت أو فعلت وأبرأ إليك من ذلك كله ومن كل عقيدة تخالف الإسلام فى أية صورة من الصور .

اللهم إنى أشهدك إنه لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك وإن سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم نبيك ورسولك خاتم النبيين وإمام المرسلين وأفضل خلقك أجمعين وإن الموت حق وسؤال الملكين فى القبر حق وإن وعدك حق والصراط حق والجنة والنار حق وإنك تبعث من فى القبور فى يوم النشور . على ذلك أحيا وعليها أموت وعليها ألقى الله إن شاء الله من السالمين . اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .

القرآن المصدر الأول للتصوف

بقلم: الدكتور
مصطفى كمال وصفى

(٢)

أما القصص القرآنى ، فهو ما تنصلح به نفس الصوفى وتزكو ، ويملأها عبرة وتبصيراً .

ومن أمثلة ذلك قصة بنى اسرائيل ، فلها فى الواقع دلالة صوفيـــة يتعظ بها السالكون من أن ينتابهم الغرور . وتبين مغبة ذلك والاوحال التى يتردون فيها بسبب إنحرافهم .

فبنى أسرائيل كانوا من الذين أنعم الله عليهم . وقال الله « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمه الله عليكم وأنى فضلتكم على العالمين » . وقال موسى لقومه : ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحد من العالمين » .

إلا أنهم أدلوا بذلك وأفسدهم ما غرهم فى دينهم وتبعهم النصارى فى ذلك وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق » وقالوا « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . تلك أمانيهم » .

وأدى ذلك بهم إلى إعراضهم عما أنزل الله ونقضهم ماعاهدوه ، وهم يظنون أنهم الآمنون سخطه ، المقربون منه « يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا » مع ان منهم كبار العلماء وأجلاء الاحبار ، ولكن صار عليهم بلا تقوى ، وعمهم بلا اكتراث وكأنهم أخذوا على الله عهداً بألا يعذبهم .

وأدى بهم ذلك إن أن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم إربابا من دون الله . وجعل هؤلاء الرؤساء يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . واشتروا بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا . وكفروا بآيات الله . وقتلوا الانبياء بغير حق وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس . وسدروا فى غيهم فكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . ولا يقبلون النصح من بينهم . فغضب الله عليهم ولعنهم وجعل قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلمة عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به . ويفترون على الله الكذب ، ويلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

وإن فى هذه القصة التى استغرقت الكثير من صفحات القرآن الكريم لموعظة لمن يغتر بنفسه من أبناء الطريق ، وهم آمنون غضب الله .

ومن ذلك أيضا قصة بلعم بن باعوراء وهو عالم من علماء بنى اسرائيل أوتى علما من كتاب الله ، وكان عنده اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب . فطلب منه قومه أن يدعو على موسى وقومه ففعل . فقال الله فيه « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان فصار من الغاوين » أى فلحقه الشيطان ولازمه وصار قرينا له والعياذ بالله بعد ان كان مرفوع المكانة عند الله.

ومنهم من أضله العلم واغتر به كقارون والسامرى .

فأما قارون — فقد كان من قوم موسى ، وكان ابن عم لموسى ، وكان يسمى المنور لحسن صورته قال النسفى وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراه . ولكنه نافق كما نافق السامرى. فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوءُ بالعصبة أولى القوة . إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، بان تقوم بواجب الشكر بالعمل الصالح ، واحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لايحب المفسدين ، قال إنما اوتيته على علم عندى ، فنسب لنفسه وجحد فضل الله ، أو لم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا

ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ؟ فخرج على قومه فى زينته، قيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من الذهب ومعه أربعة آلاف على زيه . وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج . قال الذين يريدون الحياة الدنيا ، يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أتو العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون .

قال الله « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون لولا أن من الله علينا لخسف بنا ،

أما خبر السامرى فقد جاء فى سورة طه وهو منسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا . إذ رجع موسى من لقاء ربه بالطور فوجدهم يعبدون العجل . وقالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا، ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فى نار أوقدها السامرى ، وكذلك ألقى ما معه من الحلى . فأخرج لهم عجلا جسدا ، أى مسجدا ، له خوار صوت وكان يخور كما تخور العجول . فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى . فأقبل موسى يلومهم كل بدوره ، حتى قال للسامرى « فما خطبك يا سامرى قال بُصرتُ بما لم يبصروا به ، قال النسفى رأى جبريل عليه السلام على فرس الحياة . فقبضت قبضة من اثر الرسول أى جبريل على فرسه فنبذتها ، أى طرحها على السبائك ، وكانت الفرس حيثما اتجهت خلفت آثار الحياة والروح . فلما ألقى هذه القبضة على الذهب وبث فيها الحياة ، قال : وكذلك سولت لى نفسى، قال موسى : اذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس ، أى لا يمسه أحد ، فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليه ملاقاته ومكالمته ومعاملته ، وكان به مرض إذا مسه أحد سرت الحمى من السامرى إليه. قال النسفى وكان يهيم فى البرية يصيح لامساس وقيل أراد موسى أن يقتله رحمة فمنعه الله تعالى منه . ثم له بعد ذلك موعد لن يخلفه فى الآخرة يكون عذابه فيه عظيم .

وذلك مثـــل من الغرور بالعلم ، والتردى فى الوحل بسبب الكشف والاختصاص وقانا الله سوء الخاتمة .

* * *

من أجل ذلك كله كان القرآن ربيع قلوب العابدين. وهو لا يفتح إلا لمن جاشت نفسه بالمواجد الصادقة وهامت روحه بالتوبة والندم والقاء الزمام إلى الله والتوكل عليه والانس به والمحبة والفناء فيه . فمن كان هذا شأنه ، تفتح قلبه وقت القراءة فوزن الكلام حق ميزانه ، وأعطاه قدره من الفهم ، فلا يغفل عن شاردة فيه ولا واردة ، ويرى فى كل كلمة حجة ، ويطبقه على حال نفسه وحال من يخالطهم ، فيفهم الأمور على حقائقها . ويرى نقص نفسه وأسباب ما فيه من الحجب والغفلة والكفر والشرك والنفاق . ويرى الناس على حقائقهم فيراهم على قدم بعض الصالحين والمؤمنين ، أو على قدم بعض المجرمين المضلين ، فيلهمه ذلك علما صادقا وينبوعا حقيقيا من المعرفة .

ان هذا القرآن فيه ذكرنا . وهو متحف كبير لجميع أجناس البشر ، وجميع أصناف مجرميه وصالحه . ولذلك فهو يصدق فى كل وقت ومكان فما فيه من ذكر بنى إسرائيل ، ومعانيد قريش ، وعاد وثمود وفرعون وهامان وقارون وأكابر المجرمين لم ينقص بل هم يعيشون بيننا وهم على أقدامهم .

ومن أجل ذلك أمر الله إذا قرىء القرآن أن نستمع له وننصت لعلنا نرحم وقال فيه أنه لو أنزلنا هـذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا » . وقال « لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعا » .

وأمرنا بالخشوع فى تلاوته ، والبكاء . وورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله بكى من قراءته ، وان أبا بكر كان بكاء .

وقد جاء فى الحديث الصحيح عن البخارى رضى الله عنه أنه السكينة والملائكة تنزل عند تلاوته . فقد قال الليث حدثنى يزيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أسيد ابن خفير قال بينما كان هو يقرأ فى الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوط إذ جالت

الفرس فسكت فسكتت . فقرأ فجالت الفرس . فسكت فسكتت . ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فاشفق أن تصيبه . فلما اجترأ ورفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها . فلما أصبح حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير . قال فاشفقت يارسول الله ان تطأ يحيى وكان قريبا منها فرفعت رأسى فانصرفت فرفعت رأسى إلى السماء فإذا مثل الظله فيها أمثال المصابيح فخرجت لا أراها قال وتدرى ما ذاك قال لا . قال تلك الملائكة دنت لصوتك . ولو قرأت لاصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم » . (البخارى على حاشية السند . البابى الحلبى الجزء الثالث صفحة ٢١٢) .

وعن مسلم رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ، حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذاك إلا من شىء حدث . فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر . فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن .. » (الجزء الثانى صفحة ٣٥ طبعة محمد صبيح) .

هذا بعض المكاشفة عن القرآن وتلاوته مما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالسند الصحيح . وأثره الروحى والباطن ليس فى القارىء فحسب ، بل فى عوالم الملائكة والجن .

وهذا بعض ما حواه من سند الصوفية ودعامات منهاجهم .

العودة إلى الايمـــان

تأليف : الدكتور هنرى لنك

وترجمة : الأستاذ ثروت عكاشه

عرض وتحليل : الأستاذ سعيد حمزه مكرم المحامى

مؤلف هذا الكتاب من أعلام علم النفس التجريبى ولذلك فهو يعلن من البدأية أن كتابه هذا إن هو إلا الموجز لتراجم آلاف ممن ساقتهم الظروف إلى التردد على لمعالجتهم) .

وقد استطاع (هنرى لنك) خلال خمسة عشر عاماً من العمل الدائب فى ميدان العلاج النفسى أن يتعمق نفسيات (أربعة آلاف من الشباب والكهول والأغنياء والفقراء والفتيان والفتيات) .. (فمنهم من لم يستطب أسلوب حياته ومعيشته فركن إلى الخمول أو حاول تغييرها ، ومنهم من كان يشكو بؤس حياته الزوجية أو كان يسعى إلى الطلاق ، ومنهم من كان يجد مشقة فى الاختلاط بالناس وكسب الأصدقاء أو كان يقاسى الكثير من الخجل والحياء ، ومنهم من كان يحاول أن يجد حلا للمشكلات التى تعترض تربية أولاده وتعليمهم ، أو التى تبرزها عاداتهم وطبائعهم ، أو كان منهم أيضاً من يعانى صراعاً عنيفاً بين عقائده الدينية وتجاربه الدنيوية ، أو بين التزاماته نحو أبويه ونحو نفسه ، ومنهم من كان يرزح تحت بعض العادات القبيحة ويود الخلاص منها !!)

ترى ماذا يفعل (هنرى لنك) إزاء هـــذا المعرض الزاخر بشتى الانفعالات الحادة ، والتيارات النفسية المتضاربة ، والانحرافات السلوكية المدمرة ؟!

إن بين يديه أصول علم النفس ومناهجه فليرجع إلى ما توصى به إزاء كل شكل ، بعد أن يفرغ من دراستها وتشخيص علتها ، وقد فعل كما يفعل سائر الأطباء النفسيين بيد أن النتائج لم تكن دائماً على ما يرجو لها من

نضج وإيجابية واكتمال !! وإذن فثمة وسائل أخرى أقوى أثراً وأهدى سبيلا ليست على التحقيق فى جعبة علم النفس ، وليس ثم مناص من البحث عنها فى مظانها ومصادرها ويبدو أن البحث لم يطل كثيراً (بهنرى لنك) إذ يقول : (وسرعان ماوجدت نفسى بعد دراسة مشكلات هؤلاء الناس أستعين - إبان نصحى لهم - من وقت لآخر ببعض الكتاب المقدس ونصوصه ، وأميل إلى توصيتهم باتباع بعض العقائد المعقولة) ويقف ليرقب نتائج هذه الجرعات القليلة من دوائه الجديد فيهجه أن تكون النتائج طيبة ، وإذا هو يوصى - مطمئناً - من يبتغى عنده العلاج أو يسأله النصح ، أو يرجو لديه سكينة النفس — أن يلتمسوا كل أولئك فى رحاب الدين والإيمان والعقيدة !! وهكذا يحدثنا عن أسلوبه الجديد فى العلاج فيقول : (... وما حاولت مرة أن أعبر عن بعض الحقائق العلمية أو شبه العلمية لزيد من الناس إلا واستعنت بهذه الطريقة فأشرت عليه باتباع سنة خلقية حميدة ببساطتها ، ولما تعددت أوجه الشبه بين هذه السنن الخلقية والتعاليم الدينية تبلبل فكرى !! وتأثرت ميوله ، وبمرور الزمن وجدتنى قد تشبعت بعدد لا حصر له من التعاليم الدينية التى كنت قد نأيت عنها بنفسى منذ أكثر من العشرين عاما) .

على أن (هنرى لنك) نفسه قد تعرض قبل ذلك لموجة عاتية من الشك جنحت به إلى الإلحاد الصريح . ولكنه ما لبث أن عاد إلى إيمانه أو عاد إليه إيمانه وها هو يشير لنا إلى الطريق التى أفضت به إلى اليقين : (لقد أتانى الهدى وئيداً حتى أننى لم أتبينه فى نفسى خلال مراحله الأولى ، وما كان مرجع هذا التبدل إلا تلك التجارب المتواصلة التى صادفتنى فى أثناء ممارستى لمهنتى كطبيب نفسانى .) (وقد أخذت مثل هذه الحوادث تدفعنى خطوة إثر أخرى حتى اقتنعت تماماً بأن كل مكتشفات علم النفس لتقويم الشخصية والوصول إلى سعادة النفس ورضاها تنتهى إلى التمسك بالحقائق الدينية القديمة والتعلق بها) .

وما أعمق دلالة مثل هذا الاقتناع الحاسم يعكس ضمير رجل يحدثنا هو عن نفسه فيقول : (كنت ملحداً عنيفاً ومقتنعاً تمام الاقتناع بالحادى ومستعد لإقناع غيرى به) !!

ويسأل (هنرى لنك) نفسه (لماذا أتردد على المعبد ؟ ويجيب على سؤاله فيقول : (إنى أذهب لأنى موقن تماماً أن ذهابى سيفيد برغم كراهيتى الشديدة للذهاب) وكأنه يريد أن يقول إنه ينبغى ألا نقف من الإيمان موقفاً سلبياً فندع لقاءه الصدفة بل علينا أن نخطو إليه خطوات جادة هادفة (وهذا هو الاتجاه السائد الآن فى دوائر علم النفس الحديث يؤكد أنه ليس للسعادة طريق غير العمل والكد والنشاط) ، (ولن يتسنى لنا الحصول على الشخصية الناجحة أو الخلق القويم عن طريق التأمل الباطنى بل عن طريق تدريب النفس أى تهذيبها وحكمها والسيطرة عليها .)

ثم ينافش (هنرى لنك) من يطلق عليهم (البلهاء عبيد السببية) أولئك الذين (تعودوا استبدال العمل بالتأمل والإيمان بالسببية والعقيدة بالتحليل) .

وإنه ليعجب للفكر الحديث حين يأبى أن يعترف بقصوره فى آفاق ماوراء الطبيعة ، بل إنه ليشفق عليه كلما زين (غروره أن يقتحم هذه المجاهل فما يكاد يضرب فيها حتى يعود وإيمانه هشيم لا يلبث أن تذروه الرياح .

فإذا كانت الحياة بطبيعتها (ليست تجربة مبنية على المنطق أو على كل ما هو معقول) وإذا كان هناك أشياء كثيرة فى الحياة يقف إزاءها العقل والمنطق عاجزين عن تفسيرها فإنه لا يبقى أمامنا — حتى نتجنب الشك والقلق والتمزق — إلا أن نؤمن بأن (الفكر ليس غاية فى حد ذاته ولكنه أداة يستخدمها الإنسان ليكيف نفسه مع قيم الحياة العليا وأغراضها التى لا يمكن إدراك كنهها) ولعل أساس هذه القيم العليا بل إن قمة هذه القيم هى الإيمان بوجود قوة (ذات بأس شديد وقدرة غلابة بحيث بلغ مداها هذا المبلغ السديد . العويص الفهم . . السهل التقدير . . هذه القوة سمها الخالق . . سمها الموحد سمها الله . .)

ويتساءل (لنك) ولكن من هو الله ؟ وقبل أن يشتط به الخيال وينصرف به التفكير يجيب فى حسم : (الله كلمة مدلولها قوة ، وأساسها يقين، وباطنها مجهول) ويمضى (هنرى لنك) فى تفسير عجز العقل البشرى عن اكتناه

حقيقة الوجود الإلهى فى منطق متماسك وواضح ، ثم ينتهى إلى أنه (لن نهتدى إلى حل شاف لمشكلات الحياة العويصة ، ولن ننهل من موارد السعادة عن طريق تقدم المعلومات والمعرفة العلمية وحدها ؛ فارتقاء العلم معناه ازدياد الارتباك وإطراد التخبط ، وما لم يتم توحيد هذه العلوم كلها تحت راية حقائق الحياة اليومية الواضحة ، ولن تؤدى هذه العلوم إلى تحرير العقول التى ابتدعتها وابتكرتها ، بل ستقود حتما إلى انهيار هذه العقول . . كما أن هذا التوحيد لا بد أن يأتى عن طريق آخر غير طريق العلم ، وأعنى به عن طريق الإيمان .. الإيمان ببعض قيم الحياة الجوهرية التى لا يستطيع المنطق إزاحتها أو زعزعتها)

بل إن المؤلف لا يرى بأساً فى الإيمان بأية عقيدة (فقد جبل الإنسان منذ خلق على الإيمان بعقيدة ما) وليكن موضوع هذه العقيدة ما يكون ، التنجيم أو الكف أو الفراسة أو الروحية إلخ .. إذ أنه مهما بلغت هذه المعتقدات من السخافة فهى أفضل من عدم الاعتقاد فى شىء على الإطلاق ولئن كان الإلحاد يعد مرضاً عقلياً فإن إيماناً على هذه الصورة أو تلك لا بد أن يزيد الحاسة الإيمانية فى الإنسان قوة وتوهجاً ، ولا بد أن ينتهى بصاحبه إلى الإيمان (بالعقيدة الدينية التى تتخلل الحياة فى مختلف نواحيها والتى لا يمكن لأى علم أن يقيم الدليل على بطلان مشتملاتها الجوهرية .) ولعل من الواضح أنه كلما ألح دعاة السببية فى تأليه العقل واحتقار ما عداه من طاقات الإنسان العاطفية والوجدانية كلما ازداد إحساس الإنسان بالضياع والحيرة ، وكلما اندلعت فى ذهنه أسئلة حادة لا تجد لها من جواب . وهكذا يقع (الإنسان فريسة سهلة بين يدى تلك النظريات شبه العلمية التى لا تقوم اليوم إلا لتموت فى الغد ولقمة سائغة بين براثن أدعياء الطب وتلك المذاهب السياسية التى أصبحت اليوم تحير عقله وتبلبل فكره !! وما أبعد المؤلف مع كل هذا عن أن يقصد إلى تسفيه العقل أو التهوين من شأن العلم وإنما هو يستهجن هذه (العجرفة الفكرية غير المحدودة التى تحتقر قيم الطبيعة البشرية البسيطة الجوهرية) وهو لذلك يرى أن سبيل السعادة فى هذه الحياة أن يتحد العقل مع الدين وبذلك يصبح (عقلا ليس نهباً

للتيارات المختلفة التى لا تفتأ تنبع من المعلومات المتزايدة الناتجة عن التفكير المطلق غير المتأثر بالدين)

ثم يعقد المؤلف فصلا بعنوان (الخير فى الاندماج مع الناس) ينتهى فيه إلى أن أية وسيلة تقرب الإنسان من الناس وتهيء له سبيل التجاوب معهم لا بد أن تجد صداها فى نفسه ثقة وسكينة وسعادة لأن (أوجه النشاط الاجتماعى تتطلب حيازة قدر كبير من العادات البعيدة عن الأثرة) . وإذا كان (الغرض الرئيسى من التربية هو بناء الشخصية وتهذيب الأخلاق) فإن الدين وحده يتسنم قمة المثل العليا وهو بلا مراء أكثرها ثراء بمبادىء الخلق القويم

وتحت عنوان : (إنما نحن من يصنع الأطفال) يبحث المؤلف مشكلة العقيدة الدينية فى مرحلة الطفولة . . ما هو سبيل الأطفال إلى اكتساب ذلك (الشعور القوى الذى يمكنهم به أن يميزها بين الخطأ والصواب)

حقيقة إن التعبير عن الذات — فى هذه المرحلة — ضرورة حيوية ونفسية ، بيد أن هذا التعبير لا يكون سليماً إلا فى نطاق إطار من النظام والعادات المصطلح عليها بين الناس ليعيشوا معاً يسعدهم التآلف والانسجام ولقد هدته تجاربه على آلاف من الأطفال الى أن التردد على حلقات الدروس الدينية ومواظبة الوالدين على الذهاب الى بيوت العبادة (يجب أن يكون على رأس قائمة العادات الهامة اللازمة للشخصية) .

ولئن كان الآباء فى أشد الحاجة إلى من يعينهم على أداء واجبهم نحو أبنائهم على الوجـــه المنشود فإن (الدكتور هنرى لنك) يرى أن : (أعظم مصادر هذا المعدن هو الدين فالإيمان بوجود الله ورسله وكتبه يهيء للأبوين ملجأ أميناً موثوقاً به يلجئون إليه ويضع بين أيديهم سلطة كبرى على أطفالهم كانوا يفتقرون إليها حتماً لو لم يؤمنوا بها) ، وهكذا نرى (أن الطفل الذى اعتنق منذ طفولته المبكرة فكرة وجود الله بصفة المشرع الأعلى للخير والشر يكون قد اكتسب الحافز الجوهرى الذى سيدفع حثيثاً نحو العادات الطيبة ، فبدلا من أن يقوم صرح أعماله على ما يحبه ومالا يحبه تراه يقوم على الصواب والخطأ) .

ثم يعرج المؤلف على (الحب

والزواج) فلا يجعل من الجنس محوراً لبحثه كما يفعل غيره ، بل إنه يؤكد أن عشرين عاماً فى دراسة السلوك البشرى جعله يؤمن أن عامل الجنس فى العلاقة الزوجية قد بولغ فى تصوير أهميته حتى طغى على عوامل أخرى لا تقل عنه أهمية . فالزواج عنده تجربة انبساطية تجمع بين رجل وامرأة ، ومحاولة جادة جاهدة للوصول بهذه التجربة إلى الغاية منها وهى تكوين أسرة متماسكة وسعيدة . وهو يرى أن (تلك العناصر التى تدخل ضمن تكوين الشخصية الطيبة بما فى ذلك إتزانها العاطف ، ومدى نشاطها الاجتماعى ، وشجاعتها فى مقابلة الحياة . وكل عاداتها المنبسطة ، لها أكبر الأثر فى الاهتداء إلى الشريك الآخر بل فى نجاح الزيجة) .

وإنسان هذا شأنه لابد أن يكون مؤمناً بمجموعة كبيرة من المثل العليا ، والدين باعتباره جوهر كل خير وجماع كل الفضائل لا يعتبر الزواج علاقة خاصة بفردين ، بل يرى فيه عقداً عاماً (لا يعدد مياهج الزواج ومزاياه بل يفرض التزاماته وقيوده فرضاً) .

وهكذا (نرى أن تطبيق القيم الدينية الأساسية التى تحض كلها على الإيثار وحب الإنسان لأخيه واجب لا مناص منه إن كنا ننشد السعادة الزوجية هدفاً) .

وللمؤلف بعد كل هذا آراء جريئة فى (التخطيط الاجتماعى) فى محيط المجتمع الأمريكى فهو فى رأيه مجتمع هارب من مسئولياته فهو يفرد مايعانيه من مشكلات (تارة إلى هذا أو ذاك ، وتارة إلى النظام الرأسمالى أو طبقة الأغنياء والموسرين أو التقدم فى الصناعة الآلية أو الإنتاج المتزايد إلخ . .) وعند (هنرى لنك) أن المشكلة المادية ليست أم المشكلات بل لعلها المشكلة الروحية ، وإذا كانت النظم الاجتماعية والاقتصادية لا تخلو من نقص واضطراب (فإن بلوغ هذا النظام أو ذاك حد الكمال يمكن التحقيق إذا تولاه أفراد بلغوا بأنفسهم حد الكمال .)

والدكتور (هنرى لنك) أيضاً آراء فى التربية والتعليم لا تقل جرأة عن آرائه فى التخطيط الاجتماعى قد تخالفه فى بعضها . وفى بحثه تحت عنوان (آفة التعليم) ينتهى إلى أن مناهج التعليم فى حاجة إلى جميع القيم والحقائق الأساسية التى تبحث

فى الطبيعة البشرية حتى يمكن المحافظة على تلك التقاليد النبيلة التى اكتسبها الجنس البشرى ، ووضعها فى المكان اللائق بها وحتى يمكن إخضاع الغطرسة الفكرية وإبعادها عن الأنانية ولن تجد ما يجمع بين تلك القيم الماضية القديمة والمثل الحاضرة الحديثة غير الدين)

وبعد فلقد وفق الأستاذ ثروت عكاشة فى إيثار هذا للكتاب بالترجمة إلى العربية . وإذا كان الدين لا يزال فى نفوسنا — نحن الشرقيين والعرب بصفة خاصة — ذا أثر واضح فى توجيه نشاطنا الفكرى والوجدانى فإن هذا لا ينفى حاجتنا إلى مثل هذا الكتاب الذى يسعد خطواتنا فى الطريق إلى الله ، وبركى إيماننا بكتبه ورسله واليوم الآخر .

والحق أن ثروت عكاشة قد استطاع أن يجعل من ترجمة كتاب : (العودة إلى الإيمان) الذى يوشك أن يكون كتاباً علمياً — أثراً فنياً يدعو الى الإقبال عليه والارتياح الى مرافقة أفكاره الى دفته الأخيرة . وقد إستطاع أيضا أن يجنب قارئه الوقوف طويلا عند مصطلحات علم النفس وكأنه يؤكد للقارىء أن الحقيقة ليست من التعقيد والغموض بحيث نتوسل اليها بالوسائل العلمية الصارمة .. وانما هى مسفرة عن وجهها المضىء فى ايماننا البسيط بالقيم الكونية والإنسانية . . وحين تشرق فى قلوبنا هذه الحقيقة الخالدة فثم جوهر الدين .. بل ثم وجه الله .

سعيد حمزه مكرم
المحامى

العـــدد القادم

هو مطلع عامنا الثالث :

ثورة فى التحرير : روعة فى الاخراج ، تجديد كامل ، وخطوة جبارة نحو المجلة الإســـلامية الكاملة

القول الفصل

فى مشكلة تحضير الأرواح

للأستاذ محمود سليم

من أعجب وأغرب ما يجرى فى هذه الأيام ، الدوى الخفى أو العلنى ، الذى يجرى فى أنحاء البلاد ، عن تحضير الأرواح ، وعجائب السلال .

وذهب الناس فى الأمر مذاهب شتى

فمن مفتون مبهور بما رأى وسمع.

ومن غاضب ثائر على الظاهرة مكذب لها .

ومن رجل بين مصدق ومكذب.

وتطلع علينا الصحافة كل يوم بسيل من الآراء والوقائع ، وطوفان من الظواهر والعجائب .

هذا رجل استحضر روح دالاس فقام وقال .

وآخر استحضر روح سلامه موسى فزعم وزعم ، وقال إنه آسف أشد الأسف لما كان يعتقده من متقدات ضالة مضلة طيلة نصف قرن ، وأنه رجع عن هذه الآراء فى العالم الآخر ، وإنه ينصح الذين افتتنوا به فى الدنيا ، أن يرجعوا عن آرائهم !!

وهذه جلسة روحية استحضرت روح نابليون ، فقال لهم أنه أسلم فى العالم الآخر ، وأعلن رجوعه عن عقيدته الفاسدة !!

وهذا آخر استحضر روح سعد زغلول فزعمت وزعمت ،!

وآخر استحضر روح شوقى فأملت عليهم قصائد نظمها فى العالم الآخر !!

وآخر استحضر روح إديسون فقال لهم إنه مشغول فى العالم الآخر باختراع جهاز يمكن الأرواح من الاتصال بأهل الدنيا ويمكن أهل الدنيا من الاتصال بالأرواح !!!

وآخرون استحضروا أرواح آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم فزعموا وزعموا !! .

إلى آخر هذا الطوفان من الأوهام

والظنون ، التى يروج لها قوم لا يهمهم من الموضوع إلا أن يرتفع رقم توزيع صحفهم .

وازدادت اللوثة فتكا بالعقول بعد أن نشرت الصحافة قصة التحضير عن طريق السلال .

وافتتن بهـا النساء والرجال والصغار والكبار ، حتى الذين عندهم بقية من عقل ، وأثارة من علم ، لم يسلموا من الوقوع فى الفتنة ، فوقفوا بين هؤلاء وهؤلاء ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء !!! .

إلا أن أعجب مافى الأمر ، ليس هو موقف الناس من الظاهرة .

وإنما هو موقف علماء الإسلام من الأكذوبة .

ذلك إنهم ذهبوا مذهبا عجيبا فى المشكلة .

فما كان موقف علماء الإسلام من الموضوع ؟ .

كان موقفهم أنهم جميعا إتفقوا على صحة الظاهرة ، ووقفوا على المنابر وفى المساجد وذهبوا يعلنون للناس ، أن ما يكون من ظاهرة تحضير الأرواح ، عن طريق السلال . أو غير السلال ، إنما هو تحضير الشياطين أو الجن وليس تحضيرا للأرواح !

أى أنهم اتفقوا على صحة الظاهرة وإنما الذى وقفوا يبطلونه هو زعم الناس أن ما يحضر هى أرواح للموتى وراحوا يدللون على دعواهم ، ويؤكدون أنه الجن ليس إلا . وليست الحاضرة أرواحا للمنتقلين ! .

وانقضوا بعد ذلك هادئين ، وتنفسوا طويلا ، وظنوا أنهم أتوا على البنيان من القواعد ، وأن فتنة تحضير الأرواح قد انحسمت إلى الأبد

ولكن الذى حدث هو أن الفتنة انتشرت ، والنار اندلعت واشتعلت ، ثم ازدادت اندلاعا واشتعالا .

ذلك أن علماءنا بما أذاعوا ووعظوا وقالوا ونشروا ، أعانوا من حيث لا يشعرون على انتشار الأكذوبة تبيان ذلك أنهم أقاموا قضيتهم على دعامتين .

الأولى أن مايحضر جن وليس بروح

الثانية أن الظاهرة فى ذاتها صحيحة

فازداد الناس إيمانا بالأمر ، ذلك أن الناس لا يهمهم نوع الحاضر وإنما يهمهم هل هناك شىء يحضر أم هى مجرد أوهام ؟ . فإذا أثبت أن هناك شيئا يحضر ، صفقوا وتحلقوا وبحلقوا

ولا يهمهم فى شىء إن كان الحاضر جنيا أو روحا منتقلة .

يكفى أنه شىء من عالم غير عالمنا ، شىء خفى غيبى . . . أما كونه جنى أو أنسى ، فليس بأصل فى الموضوع .

وهكذا تحول علماؤنا إلى دعاة للفكرة من حيث لا يريدون .

ولم يكن هذا عن قصد منهم ، وإنما كان اكتفاؤهم بأن يقولوا أن الحاضر جن أو شيطان أو قرين وليس روحا من أرواح البشر المنتقلين ، ووقوفهم عند هذا الحد ، كان ذلك تأكيدا للظاهرة ، وتثبيتا لها ... ودفعا خفيا للجماهير ليتحلقوا من حولها .

وهم فى ذلك كالطبيب الذى يقول للمريض إنك مريض بكذا .. ثم يتركه ويذهب ، : ولم يحدد له دواء ، أو يقرر له علاجا !

إنه بذلك لم يزد المريض إلا ألما وخوفا ولم يزده إلا وهما وفزعا .

وهذا مافعله علماؤنا بالجماهير الحائرة المتطلعة إليهم ، تريد منهم قولا فصلا فى المشكلة .

قالوا لهم اعلموا أن ما يحضر إنما هو الجن ، ولا تصدقوا أنه أرواح ثم نزل الواعظ عن منبره ، وغادر العالم مكانة . . . وترك الجماهير أشد حيرة وأشد فزعا .

لقد كان ينبغى أن يقولوا لهم تتمة المقال ، ويعلنوا إليهم حكم الله فى هذا البهتان ، وهذا هو العلاج الذى فاتهم أن يقرروه ففعلوا فعل الطبيب الذى كشف على المريض . .. ولم يحدد له دواء .

والآن . . . باسم الله ندخل هذه المعركة .. ونقاتل فيها ابتغاء وجه الله لنكشف عن وجه الباطل .. ونفضح زيف الزائفين . . . وضلال الخادعين الأفاكين .

أما القصة من أولها فهاكها .

تبدء القصة من هناك . . . يوم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، فسجدوا إلا ابليس .

ثم كان ما كان - مما هو مشهور ومعلوم - من لعن ابليس ، ثم اغواء ابليس لآدم ، ثم معصية آدم ، ثم توبة الله عليه هو وحواء .

ثم كان الأمر الإلهى المشهور « اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين » .

وكما تناسل آدم وتكاثر تناسل إبليس

وتكاثر هو الآخر فكان منه الشياطين جميعا .

وكما نزل أبليس ملعونا من الله عدوا للإنسان .

نشأت ذريته ملعونة من الله عدوة للإنسان تحمل خصائص أصلها ، وسمات جذورها :

وبدء تنفيذ القصة على وجه الكوكب الأرضى :

صنفان متمايزان .

الإنس وهم ما نعلم . . . ذرية آدم وحواء .

والشياطين وهم ذرية إبليس .

وحدد الله تحديدا واضحا علاقة الصنفين ، فبين أن هناك عداء أصيلا بين ابليس وذريته وآدم وذريته ، وليس هذا العداء من جهة الآدميين ، وإنما من جهة الأبالسة لأنهم لعنوا بسبب إبائهم السجود لآدم .

فالأبالسة هم الحاقدون علينا وليس العكس .

وحذر الله من ذلك « افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » .

« ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وان أعبدونى هذا صراط مستقيم » .

وبين الله لنا فى وضوح ما بعده من وضوح أن كل سلطانه علينا هو الإيحاء بصوت خفى . « من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس »

فحدود التسلط الجنى على الناس ، هو فى هذا ، فى الوسوسة ، فى الإيحاء بالشر .

كما أن الملائكة توحى إلى الإنسان بالخير .

وقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن كل قلب يلم به الملاك ويلم به الشيطان ، أما لمة الملاك فايحاء بالخير وأما لمة الشيطان فإيحاء بالشر .

والميزان بين القوتين المتحاذبتين هو العقل ، العقل الإنسانى العجيب ، الذى له حق الاختيار ، إما إلى الخير وإما إلى الشر .

فإن أطاع الملك فالخير والجنة ، وإن أطاع الشيطان فالشر والنار .

ذلك هو الإنسان العجيب .

وهذا هو موقفه .

ولقد سجل القرآن بأعلى صوته أن الإنسان العظيم ، ذا العقل الكريم ، لاأثر لتسلط الشيطان عليه « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » .

وهنا ينكشف الغطاء ... وتسقط الحجب ... وتتجلى الحقائق .

أما الحقيقة فهى أن عملية تحضير الأرواح ، هى عملية تحضير للشياطين الذين يحملون خصائص أبيهم أبليس يحملون صفات اللعنة من حقد وغل وكذب وانحطاط وكفر وعبث وغير ذلك .

هؤلاء يحضرون ليبثوا فى الناس ، ويلقوا فى روعهم أن ما يقولون حقا وما هو بحق ... إنما هو باطل ووهم وخداع وزور وكذب... وإن جاءوا بشئ من الصدق ، فليس مقصودا لذاته ... وإنما ليخدعوا به الناس ، ليحسنوا الظن بهم ويركنوا إليهم ، حتى إذا اطمأنوا إلى أقوالهم بثوا سمومهم ، وأشاعوا الفساد ، ودفعوا الناس إلى الكفر دفعا وهو غاية مقاصد الشيطان . أنظر إلى القرآن يكشف لك أسرار القضية « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

ما هذا ؟ .

إن الله يفصل فى القضية ... إنه يقرر أن العملية نوع من الكفر بقوله « فلا تكفر » وقوله « ماله فى الآخرة من خلاق » والكافر هو الذى لا نصيب له فى الآخرة .

فهل تؤيد السنة الكتاب فى ذلك

نعم ... يقول صلى الله عليه وسلم « إنما جزاء الساحر ضربة بالسيف » ويقول « من وقف على عراف أو صدقه فقد كفر بما نزل على محمد » .

والعرافة تشمل كل ما تنبئ به جلسات التحضير ، أو ما شابه ذلك من ضروب التعريف بالماضى أو المستقبل .

وهذا كله صريح فى أن جميع عمليات تحضير الجن أو تسخيرها أو استعمالها وما يتفرع عليها من عمل بها أو تصديقها أو حضورها أو اعتقادها إنما هو نوع من الكفر .

والنصوص فى ذلك لا حصر لها .

عامنا الثالث

العدد القادم :

هو مطلع عامنا الثالث : تجديد شامل واستعداد ضخم ، وأبواب جديدة ، وأقلام واعية هادية .

احرص على قرائته . فهو عدد ممتاز فى كل شىء .

وهدف الإسلام من ذلك أن يصرف الناس عما لا ينفعهم وإنما يضرهم ... ويرهقهم . ويضيع أوقاتهم ويفتن عقولهم ويفسد تفكيرهم .

وهذا هو العلاج الذى وضعه الإسلام وهو ما غاب عن علمائنا أن يقولوه للناس ليحسموا الفتنة ، ويقطعوا دابر المرجفين .

فليس بكاف أن يقولوا للناس ، هذا شىء من عمل الجن ، وإنما كان ينبغى أن يقولوا لهم ، ومن يتعاطاه أو يعتقده أو يحضره ، فقد كفر بما نزل على محمد .

إنهم لو قالوا هذا .. لخشى الناس على دينهم من الضياع . ولا نصرفوا عن هذا العبث إلى دنياهم إلى ما ينفعهم

وماذا عند الجن ليأتونا به ؟ .

ليس عندهم الا الأكاذيب وإلا الأوهام والظنون ، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً .

وكيف ينزل الإنسان من مقامه مقام التكريم الذى سخر الله له الملائكة والجان جميعا . إلى ذلك الدرك الأسفل من النار ، حيث يسمح للشيطان أن يكون له إلها ؟ !

كيف ... أيها الإنسان ؟.. كيف وقد أسجد الله لك ملائكته أجمعين ؟ كيف ترضى أن يستذلك هذا اللعين ؟ ! .

محمود شلبى

الأسرة والتربية الاسلامية

للأستاذ عبد المنصف محمود
واعظ مركز شبين القناطر

٣

لهذا لم يشأ ديننا الحنيف أن يترك الرجل يسير وراء شهواته ورغباته فى اختيار قرينه له يسكن إليها وتسكن إليه ، دون أن يوجهه الوجهة السليمة ويرشده إلى الخطة المثلى ، فحثه على انتقاء الزوجة المتدينة : ذات الخلق الكريم والسلوك المستقيم والذوق السليم ، عسى أن ينجب منها ذرية أطهارا ، يكونون موضع الفخر وزينة العمر ، يعتز بهم المجتمع وتسعد بهم الأمة روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » فقوله صلى الله عليه وسلم : « فاظفر بذات الدين » هذا الأصل وبه ينبغى أن يقع الاعتناء ؛ لأن اللائق بذوى المروءة ، أن يكون الدين رائدهم فى كل شىء لاسيما فيما يدوم أمره ، ويعظم قدره كالزواج ولذلك عبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم : بالظفر الذى هو غاية البغية ومنتهى الاختيار ، وبالطلب الدال على تضمن المطلوب لنعم عظيمة وفوائد جليلة ؛ فإن ذات الدين تربح الرجل وتعينه على خيرى الدنيا والآخرة . روى ابن ماجة عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عيه وسلم أنه قال : « لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يردين ، ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغين ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سواء ذات دين أفضل » وقال عليه الصلاة والسلام : ومن نكح أمرأة لمالها وجمالها ، حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزق الله مالها وجمالها » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « تربت يداك » أى افتقرتا إن خالفت ما أمرتك به ، قال بعض

العلماء : ومعناه فى الأصل : لصقت يده بالتراب ويلزمه الفقر . . . وهى كلمة جارية على ألسنتهم لا يراد بها حقيقة الدعاء ، بل الحث على ذات الدين فيوافق قوله تعالى : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » إذاً فالصالح هو صاحب الدين . . فشرف البيوت ومجد الأسر يرجع إلى التمسك بتعاليم الدين وآدابه ، والاتصاف بتقوى الله والخضوع لجنابه قال الله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » . وليس يرجع كما يفهم بعض المفتونين قصار النظر إلى الجاه أو السلطان أو الحسب أو كثرة المال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه » . . . فالزوجة الصالحة : بشير السعادة ، ومهبط الرحمة وملاك العصمة ومعدن النعمة وجنة الدنيا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليتخذن أحدكم قلباً شاكراً ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم والنسائى . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله » . وصدق الله العظيم حيث يقول : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » . . ولله در القائل :

ألا إن النساء خلقن شتى
فمنهن الغنيمة والغرام
ومنهن الهلال إذا تجلى
لصاحبه ومنهن الظلام
فمن يظفر بصالحهن يظفر
ومن يغبن فليس له انتظام

ثم إنه إذا وجد بجانب الدين حسب أو مال وجمال ، كان حسنا ؛ لأن الزوجة إذا كانت ذات حسب (أى شرف) أكسبت أولادها عزة ومجدا وفخارا ، وإذا كانت على جانب من الثراء ، فقد تستغنى بمالها عن مطالبة زوجها بما يحتاج إليه أمثالها من النساء . وإذا كانت ذات جمال ، كان ذلك أدوم ألفة من المال ؛ لأن

الجمال صفة لازمة ، والمال عرض زائل ، فإن سلم الجمال من الإدلال والطغيان وكانت هناك موافقه ، دامت الألفة واستحكمت الوصلة ، وما ذاك إلا لأن الجمال مطلوب فى كل شيء ، لا سيما فى المرأة التى تكون قرينة وعشيرة ، روى الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « خير النساء من تسر إذا نظرت ، وتطيع إذا أمرت » . ولأمره صلى الله عليه وسلم من يريد التزوج بالنظر إلى المخطوبة للوقوف على جمالها ، على أن يكون ذلك بحضرة ولى أمرها أو ذى رحم محرم منها ، فقد روى عنه جابر رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب أحدكم المرأة ، فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » رواه أبو داود وأحمد وله تتمة قال جابر : « فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعانى إلى نكاحها فتزوجتها » . وروى عنه أيضا أنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطبت امرأة : « انظر إليها ؛ فانه أحرى أن يؤدم بينكما » أى يكون النظر مدعاة إلى الألفة والاتفاق . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن؟ قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، وورد فى الأثر : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وروى أن أعرابيا قال لبنيه : « قد أحسنت إليكم صغاراً وكبارا وقبل أن تولدوا » قالوا : « وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ » فأجاب بقوله : « اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها » وأنشد الرياشى :

وأول إحسانى إليكم تخيرى
لماجدة الأعراق باد عفافها

فغالب الصفات التى تتصف بها المرأة ، سواء أكانت صفات حسن أو قبح موروثة ، وأن هذه الصفات كما قرره بعض العلماء : لها وجود حقيقى فى النطفة ، والنطفة كما هو معلوم أمشاج تخلق من افرازات جميع أجزاء الجسم ، فليس بغريب أن تكون جنينا على مثال الأصل الذى نشأت عنه ونبعت منه . . وهذا السر الغريب هو سر مشابهة الفروع للأصول ، وسر اشتهار بعض الأسر بصفة من الصفات الجسمية والخلقية .

فالطفل صورة مصغرة من أبويه يرث منهما كثيرا من الصفات الفاضلة أو السيئة ، وقديما قيل : « العصا من العصية ، والحية لا تلد إلا حية » .

« يتبع »

مجلة الإسلام والتصوف

اشتراكات العام الجديد

أيها الصوفى المؤمن :

السلام عليكم ورحمة الله . . وبعد :

فإن مجلة الإسلام والتصوف هى مجلتك التى صدرت من أجلك ، وقامت لرفع شأنك ، تدافع عن فكرتك ، وتبين للناس طريقتك وتدعو إلى احترام رسالتك . وتقدم آداب التصوف وعقائده وشيوخه ورجاله فى صورة كريمة ، وكلمات رفيعة ، وصحف مطهرة مضيئة .

أيها الصوفى الكريم : لقد صدرت مجلة الإسلام والتصوف . فكانت خير عنوان لك . هاجمت من هاجمك . وشرحت صدر من أحبك . وأعلت ذكرك وطهرت دعوتك . وبينت للعالمين أنك حامل نور القرآن وروح الإسلام وإنك صفوة الخلق والخيرة من العباد . وأنك رافع لواء الروحانية الربانية التى اصطفاها الله رحمة للعالمين .

صدرت مجلة الإسلام والتصوف فى ثوبها القشيب ، وعلمها العزيز ، محررة بأقلام الصفوة المختارة من كبار الأساتذة وأئمة التصوف وأعلام الفكر . لم تحتجب يوما . ولم تضعف لحظة . ولم ترج إلا الله . ولم تعتمد إلا عليه وعليك فسارع إلى مرضاة ربك ونصرة دعوته باشتراكك فيها ونشرها بين الناس ودعوتهم إليها وحضهم على المساهمة فيها .

ولقد استقبلت مجلتك والحمد لله فى الجمهورية العربية وفى سائر انحاء بلاد العروبة والإسلام استقبال الناس للنور والحياة والأمل ، وانهالت علينا رسائل التقدير والتأييد ، وأصبحت بفضل الله عنوانا من عناوين النهضة ،

أيها الصوفى الكريم : لقد صدرت مجلتك عامين كاملين ، تعاونا فيهما معا على الخير والحق والهدى . والآن وقد انتهى العام الثانى بهذا العدد ، وابتداء من العدد القادم يبدأ العام الثالث . العام الجديد المبارك لمجلتك . فبادر بإرسال اشتراكك إلينا فوراً .

لقد أدينا واجبنا . . . فبادر إلى أداء واجبك .

حقيقة التصوف

للأستاذ فوزى عرفه

أثار صديقى الأستاذ محمد رشاد عطية أمراً هاماً فى نفسى عندما تحدث عن عن الجدل الذى احتدم بين طائفة من زملائى فى دراسات الماجستير حول قيمة التصوف وكيف اعتبره بعض زملائه الأفاضل « قوة سلبية والقائمين عليه مجموعة من الدراويش من أصحاب المرقعات والعزلة والهروب من مشاكل المجتمع وصخب الحياة ويجب ألا يكون له وجود فى القرن العشرين !! ..

أقول أثار هذا الأمر فى نفسى مجادلات عديدة حول جوهر التصوف ومعدنه وهل هو حقيقة شىء عارض فى حياة البشر وبخاصة من المسلمين أم أنه قطعة من الإسلام يكتمل بها زينة المؤمن فى محفله واتصاله بربه وعلاقته بالآخرين . ولعلى فى هذا المقال أحاول أن أبين الصلة القوية بين التصوف والإسلام من ناحية وبين التصوف والحياة من ناحية أخرى .

ظهر التصوف أول ما ظهر ملازماً للإسلام منذ فجره الناهض فاعتكف قوم على العبادة وانقطعوا إلى الله تعالى وأعرضوا عن زهرة الحياة وزينتها وزهدوا فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه وانفردوا عن الخلق فى الخلوة للعبادة تقربا إلى الله محاولين بذلك أن يحققوا صورة المسلم الحق كما بدت لهم مرسومة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الذكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » وقوله « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » ولذلك وصفهم أبو نعيم الأصبهانى بقوله : « هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شىء من العروض وعصمهم من الافتتان بها عن العروض وجعلهم قدوة

للمتجردين من الفقراء لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا مال ، ولم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا ، ولم يفرحوا إلا بما أيدوا به من العقبى ، ووصفهم صاحب الرسالة القشيرية بقوله :

أما بعد رضى الله عنكم فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وجعل قلوبهم معادن أسراره واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره فهم الغياث للخلق والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق بالحق صفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ووفقهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف وتحققوا بما منحه سبحانه لهم من التقليب والتصريف ، ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار ، ولم يتكلوا على ما حصل منهم من الأعمال أو صفا لهم من الأحوال علما منهم بأنه جل وعلا يفعل مايريد ويختار من يشاء من العبيد لا يحكم عليه خلق ولا يتوجه عليه لمخلوق حق ثوابه ابتداء فضل وعذابه حكم بعدل وأمره قضاء لا يرد .

وهكذا نرى أن هذه الطائفة العاملة الواعية قد تمثلت الإسلام تمثلا قويا وفهمت معناه فتمسكت بجوهره وتشربت مثله واتخذتها غاية لها تسعى إلى تحقيقها بطريقة شاقة لا يقدر عليها إلا ذو العزائم والمكارم ، وطريقهم فى ذلك : تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى — فيما يقول الغزالى إن طريقهم « تطهير محض وتصفية وجلاء ومحاسبة للنفس ثم استعداد وانتظار للتجلى » .

ولكن ما الدافع إلى هذا الزهو الذى يبدو عند الصوفية ؟ هل هو سلبية وبعد عن الحياة ونفور وضعف وخور أم هو صادر عن قوة عزيمة وشدة مراس؟ الواقع أننا لو نظرنا إلى تاريخ هذه الفئة لرأينا الرد على سؤالنا هذا لا يخرج عن أنهم أطالوا النظر فى الحياة وأمعنوا فى تدبرها وتفهمها فانتهوا إلى أنها غرور من أقبل عليها خدعته ببهرجها وتسلطت عليه بزينتها حتى لا يرى غيرها فى نظره وبصيرته فتعميه عن معرفة الحق والتقرب إلى ذى العزة والاكرام يقول الحسن

البصرى : « الدنيا دار عمل من صحبها بالبغض لها والزهد فيها سعد بها ونفعته صحبتها » ويقول : « ابن آدم نفسك نفسك إنما هى نفس واحدة إن نجت نجوت وإن هلكت هلكت ولم ينفعك من نجا وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار يسير » .

أجل ! الدنيا دار غرور وللآخرة خير وأبقى ! ذلك ما يؤمن به الصوفية ، وما ينبغى أن يضعه كل مؤمن نصب عينيه فلو آمن أن غده ليس بين يديه وأن أمسه أصبح بين يدى الله لما بقى له بعد ذلك إلا حاضره القائم ولحظاته الراهنة ، يقبل عليها بحريته التى لا تحد فيملؤها عملا صالحاً أو فساداً وفجوراً . فإن فعل الأولى نجا وإن أقبل على الثانية خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

هل ذلك الذى تهون عليه نفسه حين تقبل على الشهوة وتستعصى على إرادته فيقال له : « ما أشد ما لقيت فى سبيل الله ؟ » فيقول « ما يمكن وصفه » فيقال له « ما أهون ما لقيت نفسك منك » فيقول « أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شىء من الطاعات ، فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة » . أقول هل ذلك الذى يفعل هذا كله بنفسه وأكثر من ذلك كله يصدر عن سلبية وضعف أم يعقل ما يفعل لأنه يريد أن يحشمها المشاق ويعودها الصبر على المتاعب والمصاعب حتى تهفو وترقى وتصل إلى أكبر غاية وأفضل مورد ؟ .

أجل إن أعمال الصوفية صادرة عن إرادة ايجابية رقوة دافعة لا تحركها دواع سلبية بحال من الأحوال ، وليس أدل على ذلك من تلك الطرق التى يتبعونها من تجلية للنفس وتنقية للقلب وتحلية للخلق واتصاف بالمعروف وإقبال على الخير من جميع موارده ومصادره .

لقد فهموا القرآن وتدبروا معانيه وتحققوا بالشريعة ، وصاح صائح منهم : « إذا نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة » . وهكذا اتصف هؤلاء القوم بصفات سامية واشتهروا بأخلاق حميدة ، وجعلوا أبوابه تقربهم إلى الله ذات منافذ عديدة من توبة ومجاهدة وخلوة وعزلة وتقوى وورع وزهد وصمت ، وخوف ورجاء وحزن وجوع ، وترك شهوة وخشوع

وتواضع ومخالفة للنفس ، وبعد عن الحسد والغيبة واتصاف بالقناعة والتوكل والشكر واليقين والصبر والمراقبة والرضا والعبودية والإرادة والاستقامة والإخلاص والصدق والحياء والحرية والذكر والفتوة والجود والسخاء والغيرة وما إلى ذلك من صفات طيبة وسجايا حميدة ، فهم الفرسان الذين أعلوا من شأن الإرادة الايجابية وقالوا : « الإرادة ترك ما عليه العادة وحقيقتها فهو من القلب فى طلب الحق سبحانه ولهذا يقال إنها لوعة تحوى كل روعة » وهم الذين طلبوا الحرية عن الأغيار ولم يعترفوا إلا بعبودية الجبار القهار سبحانه ذو الجلال والإكرام .

قوم هذه صفاتهم وتلك أخلاقهم وسماتهم ، هل يمكن أن يقال عنهم إنهم قوة سلبية !! لم يكونوا هكذا فى سالف الزمان ولا يكونون فى حاضر العصر والأوان . لقد كانوا ثواراً على التقاليد الجامدة والعاداة البالية ، وفتحوا صدورهم لاستكناه الكون وتلقى همساته وأسراره فاتسعت آفاقهم ورحبت مجالاتهم وأصبحوا ينأون عن الانطواء والعزلة وأثروا الحياة بما لهم من قوة حجة وصحة يقين ، ووقفوا أمام أعيان الحكام يوم ضاعت الذمم ومشى الجميع فى ركاب النفاق والمداهنة وها هو ذا بهلول المجنون رضى الله تعالى عنه اجتمع به هارون الرشيد ، فقال له الرشيد : « كنت أشتهى رؤيتك من زمان » فقال لكنى أنا لم أشتاق إليك قط . فقال له عظنى . فقال بم أعظك ؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم . ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه ، فسألك عن النقير والفتيل والقطمير وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون . فخنقته العبرة وبكى بكاءاً مراً .

وهكذا كانوا يقرعون الحكام من آن لآخر بقارعة النذير التى لا تفرق بين العظيم والفقير ، فإذا دغواتهم حق وأقوالهم صدق ولا نزال نطرب ونعجب عندما نقرأ هذه الآيات البينات .

أجل ! ذلك هو الوجه الصحيح للتصوف . التصوف الإسلامى الذى يلتمس ينبوعه من كتاب الله وسنة رسوله ويرتشف من رحيق الإسلام الصافى فيمرع ويفيض ويملأ الدنيا من حوله خيراً وبركات .

ولقد ران عليه — قشرة — غشاوة من الجهل وطامة من البلاء غشيت جميع مرافق الحياة فى الأمة الإسلامية حتى قال صاحب الرسالة القشيرية : « ثم اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

ولكن بعد انتفاضة الأمة العربية وصحوتها من رقادها الطويل تهيأت لها وسائل القوة والمتعة على يدى رجال الثورة المباركة فعهدوا بالمشاعل إلى من يحسنون حملها ، وكان من ميمون الطالع أن يحمل مشعل التصوف شيخنا وأستاذنا السيد محمد محمود علوان ، فتغاون هو وجلة القوم وأفاضلهم على دفع العجلة إلى الأمام والسير بها فى الطريق الصحيح الذى سوف يعيد للتصوف الإسلامى مجده وسخاءه وثراءه .

والآن بعد أن اتضحت أصالة التصوف الإسلامى وأنه هو والدين الحنيف سيان ، فانى أدعو إخوانى طلبة الماجستير على أن يقبلوا على هذا التراث الضخم بشغف واهتمام ليتصفحوا صفحاته ويستجلوا آياته ويعملوا على تحويده وتبيينه وحسن عرضه حتى ترسخ تلك الدعائم فى الأذهان وتنهض شامخة الذرا قوية البنيان ؟

فوزى عرفة

لا أمة بلا أخـــلاق ...
ولا أخلاق بغير عقيدة . .
ولا عقيدة بغـــير فهم ...

جمال الدين الأفغانى

الهيئة الزراعية المصرية

تساهم فى توفير سماد سوبر الفوسفات

استوردت الهيئة الزراعية المصرية كميات من سماد سوبر الفوسفات الأسبانى المحتوى على ١٨ ٪ حمض فوسفوريك ذائب أى بما يزيد بمقدار الخمس تقريبا مما يحتويه السماد المحلى . . . وذلك مساهمة منها فى توفير هذا السماد لسد حاجة الزراع .

سوبر الفوسفات الأسبانى

يطلب من مخازن وكلاء الهيئة الزراعية المصرية

ثمن الجوال زنة مائة كيلو قائم

١٤٠ قرشا

أخبار صوفية

الجمعية العامة للسادة مشايخ الطرق الصوفية

• اجتمعت الجمعية العامة للسادة مشايخ الطرق الصوفية بالجمهورية العربية فى الساعة السادسة من مساء يوم الخميس ٢١ من ابريل عام ١٩٦٠ بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية برياسة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية .

وقد عرض سماحته على السادة المجتمعين ، بيانا تفصيليا عن الخطوات الإيجابية التى قامت بها المشيخة العامة للنهوض بالطرق الصوفية وتطويرها لتسهم بنفوذها الروحى الكبير فى القطاعات القومية والاجتماعية والتعاونية .

ثم تحدث سماحته عن المنهج الثقافى والتربوى الذى استهدفته اللائحة الصوفية الجديدة حتى تتحرر الطرق من إسر التقاليد والعادات الدخيلة التى عاقت خطوها ونالت من جلالها ، باعتبارها مركزا قياديا ينبعث منه الإشعاع الروحى والخلقى والإيمانى لمئات الملايين فى العالم الإسلامى .

ثم عرض سماحته لنهضة القومية العربية ، ورسالتها التحريرية بزعامة الرئيس المجاهد جمال عبد الناصر ، وأن من تعاليم الإسلام ، ومن تقاليد التصوف أن نتعاون جميعاً مع القيادة الصالحة المكافحة .

وإن التصوف الإسلامى كان دائماً سباقا إلى ميادين الجهاد والتضحية فى سبيل حياة أهدى ، وإنسانية أسمى ولهذا فعلى شيوخ الطرق اليوم واجبات فادحة وخطيرة عليهم جميعاً أن يكونوا الأسوة الصالحة الطيبة لمريديهم وأن يتولوا توجيههم وإرشادهم خلقياً وروحياً وقومياً وأن يربوا فيهم جميعاً روح التضحية والتعاون والمثالية ليكونوا مواطنين صالحين نافعين لأنفسهم ولأمتهم ولدينهم .

ثم تداول السادة المشايخ فى شئون الطرق والتصوف واتخذت قرارات عملية فى الحقلين الإدارى والروحى ووفق عليها بالاجماع ، وانتهى الاجتماع فى تمام الساعة التاسعة من مساء هذا اليوم .

اجتماع السادة وكلاء المشيخة العامة

• اجتمع السادة وكلاء المشيخة العامة بالمحافظات والمديريات والمراكز فى تمام الساعة السادسة من مساء يوم الجمعة ٢٢ من ابريل عام ١٩٦٠ بداد المشيخة العامة للطرق الصوفية برياسة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية .

وقد بدأ سماحته الاجتماع بعرض الخطوات الكبيرة التى مشى بها التصوف الإسلامى إلى نهضته الحاضرة فى ظل الثورة البناءة المباركة .

ثم تحدث سماحته عن لائحة الطرق الصوفية الجديدة التى قامت بإعدادها لجنة من رجال المشيخة كما مثل فيها الأزهر ومجلس الدولة ووزارات الأوقاف والداخلية والشئون والارشاد .

وإنه يسره أن يستأنس برأى السادة وكلاء المشيخة العامة فى هذه اللائحة .

وانتقل سماحته بعد ذلك إلى الحديث عن وجوب أن يكون رجال التصوف هم النماذج الإنسانية العليا للناس كافة ... ومن واجبهم أيضاً أن يمشوا بدعوتهم الروحية خطوات إلى أفق الحياة العملية حتى يسايروا موكب الحضارة ، وركب النهضة الكبرى التى يرفع أعلامها الرئيس المجاهد جمال عبد الناصر فى أرض العروبة المباركة .

ثم أخذ سماحته فى الاستماع إلى مشاكل كل فرد منهم فى منطقته وعمله ، ثم يقدم له التوجيه والارشاد حتى يقوم بواجباته العامة على الوجه الأكمل .

وانتهى الاجتماع فى تمام الساعة التاسعة من مساء يوم الاجتماع .

المولد الصغير للسيد أحمد البدوى

• شهد سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية الليلة الختامية لمولد العارف بالله السيد أحمد البدوى بطنطا .

وقد أقام السيد الخليفة مأدبة غداء لسماحته حضرها الأساتذة السيد محمود كامل يس شيخ السادة الرفاعية ، وطه عبد الباقى سرور ، ومحمود الكولى .

ثم اجتمع سماحته بشيوخ الطرق الصوفية ووكلاء المشيخة العامة موجها ومرشداً ومهنئاً بالمولد الكريم وقد ودع سماحته كما استقبل بالاجلال والتقدير.

وكيل المشيخة بإجا

• أصدر سماحة السيد محمد محمود علوان قراراً بتعيين الأستاذ كامل أحمد على عمر وكيلا للمشيخة العامة ببندر ومركز إجا .

وكيل المشيخة بسمنود

• كما عين سماحته الأستاذ عبد العزيز أحمد صيام وكيلا للمشيخة العامة عن بندر ومركز سمنود .

عبد الوارث الصوفى

• سافر إلى دمشق الأستاذ محمد عبد الوارث الصوفى ليواصل عمله المبارك فى سبيل خدمة القضايا العربية التى خصص حياته لها .

لك مكانا فى أجمل بلاجات العالم...

المعمورة

الجديدة

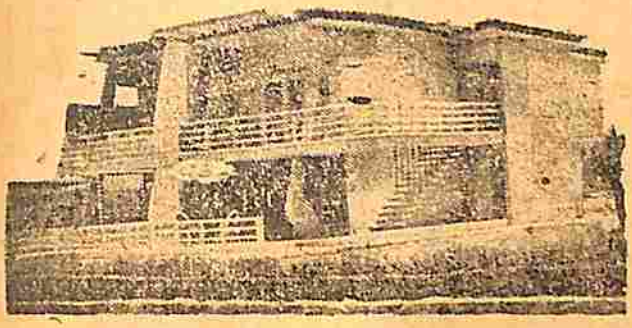

بلاج المعمورة

أرقى بلاجات الشرق كله.. تملكه
الجمعيات التعاونية للإصلاح الزراعى
تباع أرضه بمزادات لبناء فيلات
وعمارات سكنية

الشركة المصرية للأراضى والمبانى

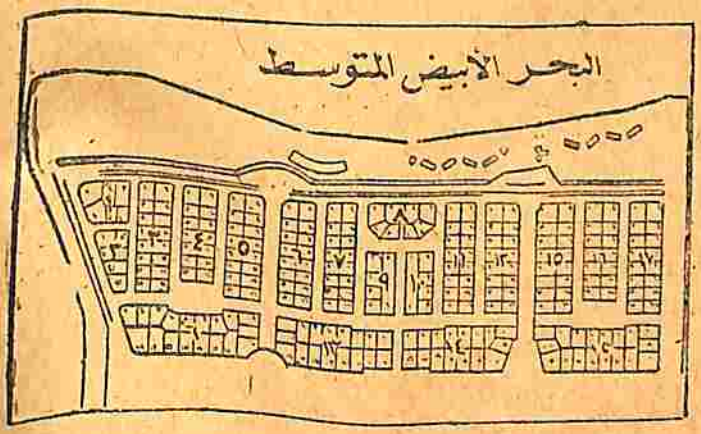

القاهرة: ٣ شارع سوارس ت ٤١٣٥٠ / ٥٤١٦٩

الاسكندرية: تليفون: ٦٠٩٠٩ / ٦٠٩٠٨ / ٦٣٨٦٩